

# حراء

مجلة علمية ثقافية فصلية

[www.hiramagazine.com](http://www.hiramagazine.com)

العدد الخامس عشر / السنة الرابعة / الأول - يونيو ٢٠١٤

إن دمع العين لدى أصفاء الحق سبحانه مثله كمثل أنفاس المسيح،  
فيها سرّ بعث الروح في الأجساد الميتة، وكمثل ماء الحياة ينبعث به الأرض الفاحلة،  
ونتنفّض بالحياة، وتندفق بالحضرة والسماء.





# المحتويات



- ٢ ..... هذا موسم الكفاء / مع الله تكوني
- ٨ ..... مظاهر التكريم الإلهي لبني الإنسان / أ.د. الشاهد الوعبي
- ١٣ ..... أيمانك ترصد الزوال / جمال الغوشي
- ١٩ ..... محاور البعد الأخرى في فكر النورسي / أ.د. عبد الحميد النجار
- ٢٥ ..... بصمات عثمانية على الألفية الشريفة / أحمد مروان
- ٢٩ ..... أعلام القروسية الإسلامية / أ.د. محمد عمارة
- ٣١ ..... الأبعاد الإنسانية في الأعمال الحرة / أ.د. إبراهيم البومي عام
- ٣٦ ..... التسلم في الإسلام، مصدره وعضائمه / أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي
- ٤٠ ..... السنن الإلهية في المنظومة الكويتية / أ.د. علي جمعة
- ٤٤ ..... لا تلعب يا أيتها... / كامل عون
- ٤٧ ..... بالقرآن تسعد القلوب وأفأس النفوس / د. عصمت محمود أحمد
- ٥١ ..... الحوار بين الحضارات، مقاومة نصفيية ومفترحات مطلقية / أ.د. أحمد عبادي
- ٥٦ ..... رياض اليقين / عبد العزيز القناخ
- ٥٧ ..... الإنسان بين الشيطان والقرآن / أديب إبراهيم الدباغ
- ٥٨ ..... القرآن العظيم وفنونه الأمة / أ.د. مريد الأصايري
- ٦٤ ..... روح الأمة / فتح الله كوش



EGYPT  
7, el-Basmahe st, ed el-Tayaran st, al-Hay al-Saabi  
New City-Cairo/EGYPT  
Tel-Fax: +2022031551 Mobile: +2016523088

TURKIYE  
Emniyet Mahallesi, Hürur Sokak, No:5  
34676 Çekirge-İstanbul/TURKIYE  
Phone: +90(216) 318 60 11 Fax: +90(216) 422 41 40

USA  
The Light, Inc.  
26 World Fair Dr. Unit C Secaucus,  
08871 New Jersey, USA  
Phone: +1 732 868 0210 Fax: +1 732 868 0211

SAUDI ARABIA  
Arche Distribution  
P.O. BOX 8454 Riyadh 21671 Saudi  
Tel: 1966 1 487414  
GSM: +966 90438213

SYRIA  
GSM: +963 944 35675

MOROCCO  
دار النشر  
Société Arabe-Africaine de Distribution,  
d'Édition et de Presse (Sograp)  
70, rue de Salimane, 20000 Casablanca / Morocco  
Tel: +212 22 24 92 00

YEMEN  
دار النشر  
الجمهورية اليمنية، شارع الحب، الدخري، طريق أمم المتحدة الجديدة  
Tel: +967 1 440145  
GSM: +967 711518611

ALGERIA  
GSM: +213 770 62650

SUDAN  
Tel: +249 918298388

JORDAN  
GSM: +962 776 113862

UNITED ARAB EMIRATES  
دار النشر  
ج.ب. 6677 أبو ظبي  
Tel: +971 266 789920

# هذا موسم البكاء

فتح الله قلوبكم

"بعض من صروف الدهر يكي

البستان يكي... والبساتي...

صبح الزمر، وراح الورد يكي دمه

شد هجر البلبل للولها... روضه... (بومبي)

ع

عندما تفيض بعض العواطف في أعماق القلب من حزن وأسى، وفرح وسرور، ورحمة ورافة، وتخرج فتعدو شجما مترامية؛ فلها لا تلبث أن تهيم نوايل من الدمع عبر العيون، فالآلام والهموم، والفراق والوصال والحب والأشواق، والأمال والتطلعات... جميعها تثير شخن البكاء عند أولي المشاعر المرهقة بمن سعدوا بحبة الرقيق الأعلى في رباط القلب وأفقه، وتستند دموعهم، ولكن ما من شعور تجود له عيونهم بعزير دمعا كمثل الشعور بالخوف من الله ومهائنه، وإحلاله وتوقيره. أما الدموع الأخرى، فهي تتحدر من ماضية الإنسان الحامدة لحابي الحسد والروح؛ فهي طمعة، شائعة، لا تثبت إلى آتات الضمير وأحسانه بصله، ولا تبلغ مرتبة الدمع السامي أبدا.

## دموع السعداء

إذا كنت تروم دموعا انتقلت من أرض الإيمان والعرفان، وهاسها الحب والوجد والشوق، فهذا يقتضي معرفة بالحق جل وعلا، وإحساسا به عد كل كائن، وتشوقا لوصالي بجهول الأوان ليلا وغاراء، وتخللا من مخافته وارتعادا من مهائنه، وتخشعا عميقا بين يدي حضرته العلية. وهذا اللون من الدموع نادر عزيز، لم يحظ بمثله إلا ثلة من السعداء... كما أن استمراره موط بأن تقر آثاره تعالى في كل شيء، وتحس به في كل شيء، وتحت عبه في كل شيء، وتعرفه لدى كل شيء، ويذكره لسألك عند كل شيء. إن المرء إذا عرف شيئا تعق به.. فإذا ازداد اتعلق القلب حثا ثم وحدا وولعا يسلب فزاده، وبأخذ مجاميع قلبه. وإن عاشقا في مثل هذه الحال لا يقر له قرار ولا بهذا له مال، يتيه من صحراء إلى أخرى، بين ويكي على "اللاه". فهو في عمل دؤوب وتعبنة لا تأتي لكي يتسأسي على حالة "السعد" التي تقيم عليه... ومن ثم يتسبح الآثار التي تتحدث عنه سبحانه، ويتندر العلامات دون سامة أو إعياء، بماهي كتاب الكون حيا، وبصو على الأشياء والأحداث حيا آخر، يفرقها على ألفا رسائله حل وعلا، يتسم



أريجها، ويكمل عليه بها.. وفي أحضان أخرى تنقل قلبه لسماع عبارة من بيانه العجيب فيروح عن قلبه بعض الغمات، وأخيرا يلقى عند إتمامات تنسبر إليه ولاكين يدعو إليه، متأملا فيها مستغرقا في معانيها، موصولا بصدق أسرارها يوجد عميق، متنسما بسمات الحب في كل لحظة وحيز.

هذه حال السعداء الذين يسعون متمسكين يد الصانع في صنعته العجيبة، منتشين إلى الخميل المتعالي في كل بدعة من بدائع الحسن والجمال، مرهقين أسماعهم بلغة متشابهة إلى كل حصة من حصوات الكون التي تحللتهم عنه، عاطفين على كل كائن في الوجود بحب عميق وعناية فائقة لأنه من صنعه وأثره سبحانه، ومن ثم ناسحين كل قفرة من قصيدة حياهم على شجرة العشق وسدى الحب. هذا، وإن من طبيعة القلوب أن يهتسها الحزن، ومن شأن العيون أن تفيض بالدمع لدى مفارقة الأحبة أو وصاهم.. غير أن مسئلة الدموع في عالم الغروب تغدو بحسب عمق للمشاعر واتساع التصورات، وسمو ألوانها التي يحملها صاحب النحيب والألم. فإن من يردف الدمع ويش يلواعج قلبه خفية وتخشعا ومرافقة وتبصرا، أو من يكظم أمواج العواطف المتلاطمة في قلبه، ويغني غلبان للمشاعر المتأحضة في ضميره، فيلهمها في غور أعماقه مقتفيا أثر القائل:

إذا ألم بلس الهمة، فحذار من التأوه حذار،  
أكنم أهاتك في صدرك، ولا تفضها للأعبار..

أجل، إن هؤلاء أوقاف باب الحبس بصدقي، كحيل الطوق<sup>(١)</sup> والأجفان، أوفياء له حق، يصونون بصرهم كما يصونون عرضهم، ويغارون عليه ولو من غيهم. وإن حال هؤلاء نعر عن معان عميقة دوما، سواء أجهشوا بالبكاء أو لا، كانوا بصمت طويل.

وبالمقابل فإن الشاكي الذي لا يبتع من صميم القلب عذاب للعين وإهانة للدموع وخديعة للسان كافة. ومن هنا فإن تصنع البكاء لا يفرح إلا بإلهيس، بل ويلوذ إكسيرا عجبيا صنعه الخالق ليطلق نيران جهنم، ويظلم مفعولة الحراق لما يحمل من آفة الربا. إن الدموع التي تنم عن الاعتراض والإنكار وعدم الرضا في أوقات المصيبة والبلاد عزيمة البتة، وإن الارتعاد هواجس القلق والاضطراب مما يظلم للمستقبل، ما هو إلا لونة نفسية وداء غشال، كما أن التلهف والشكوى على ما ضاع في الماضي عيب في عيب وهدر للدموع.

لقد ذرفت عينا يعقوب عليه السلام دموعا سائحة على ولديه

العربين بدافع من حزن الوالد إلى فلسطين كبده، وبدافع من عاطفة شفقة لتوتش لها قلبه. ولعل النبي الكريم عليه السلام قد سكب غزير الدمع عليهما لما توسم بهما من أمارات العمل المضيق في المستقبل، ولما عرف لما من مكانة سامية لدى الباري عليه السلام. فإذا صح هذا التفسير -وحيث تؤمن بصحته- فلا حرج في هذا اللول من البكاء. أما الدموع الواقعة التي انحلت من عيون عليه السلام يوسف عليه السلام عند والدهم الكريم، فما هي إلا كذبة فاضحة وخديعة مشبهة واجههم ها سيدنا يوسف حينما كتب الله له نقياهم قائلا: ﴿لَا تَزِرُكُمُ الْعَيْنُ يَوْمَ تُبْعَثُ إِنْ كُنْتُمْ تُرْحَمُونَ﴾ عليه السلام، فحملوا له صنيعة قائلين: ﴿يَا لَيْسَ لَكَ أَنْ تَزِرَ اللَّهُ عَنْكَ﴾. إن قطرات الدمع التي تنهمر لوجه الله عليه السلام، هي أصدق أنات القلب الذي يثور بالحب الإلهي مورا. وإن من تأججت أضلاعه ببيان الوجد تالأت عيناه بالدموع، أما من أقفرت عيناه وتصحرت فلا أثر للحياة في حواشيه.

### نبي الأحزان عليه السلام

إن الحزن والبكاء من أبرز الحصائل التي اتسم بها الأنبياء الكرام، فقد كان آدم عليه السلام أبين متصل مدى الحياة، وها هي دموع نوح عليه السلام قد تحولت إلى طرانة غمر سطح الأرض. أما مفجرة نبي الإنسان عليه أفضل الصلاة والسلام فقد نظم قصيدة لواعمه وأحزانه بالدموع، ولذلك فلعنا لا نخطئ إذا سمينا "نبي الدموع والأحزان". ألا تذكر يوم بكى بحرقه حتى الصباح ناليا الأبتين الكريمتين مرة بعد أخرى: ﴿إِنْ تَعْلَمُنَّهُمْ فَإِنَّهُمْ عَذَابُكَ وَإِنْ تَعْرِضْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَيْرُ الْحَكِيمُ﴾ (١١٨: ١١٩)، ﴿زَبَّ إِلَهُمْ أَمَلَلَنَّا كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ يَبْعَثْ إِلَهُهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٢١: ١٢٢). فلما أخبر جبريل عليه السلام رب العزة عليه السلام بسبب بكائه -هو أعلم- رَفَّ إِلَهُ بِشَرِي أَلَحَّتْ صَدْرُهُ، وَكُنْتُ حَقِيقًا قَلْبُهُ وَأَبْنَى وَجَدَانَهُ: "يا جبريل، اذهب إلى محمد وقل إنا سرصيك في أمك ولا تسوءك" (صحح سلم).

لقد كان دالم الفكرة متواصل الأحزان (فرمسي)، إذ كان في كثير من الأوقات يستغرق في تأملاته التي تنهي إلى دموع حارة تتحدر على خديه ليباركون. صحيح أن وجهه الحزين كان يشرق فرحا حينما تصله بعض البشر، إلا أنه كان في أغلب الأحيان يبكي ويش أسين الليل الحريق. إن الليل لا يقطع عن التوايح والألحان حتى وإن حطت على الورود، فكأنه قد خلق لكي

يصدق بلغات الله الدين والحرن المتصل. أما الغريان فلا تحمل تعيها أدق معنى من ذلك الله والحرن، وأما عيب اليوم فهو أبعد ما يكون عن مثل هذه المعاني السليمة.

### أئبن الأصفياء

إن الحرن والبكاء حال الأصفياء دائماً، وإن أئبن الليل والنهار أقصر طريق إلى الله سبحانه. ومن عاب العاشق في بكانه فقد فصح نفسه وأبان عن دعوته. ومن لم يفهم حقيقة النفوس التي احترقت وحدا وتأججت شوقاً، فسوف يصبح متقلداً بالخسرات ويمسي مكتوباً بالآلام البعد والمخيرات يوم يقوم الناس أمام رب العباد. وإن القرآن الحكيم ثلثت الأظفار باستمرار إلى أصحاب القلوب المضطربة والعيون الملتصقة بذكرهم فمادح متالية بجد التأسسي ها ومثل سلوكها. فهو يوه هؤلاء الربايين أنقياء الروح أصفياء القلب يقضي القواد، ويقضي على الدعوى التي انحدرت من أعينهم، خوفاً من جلال الله، وهيبة من جبروته، أو شعوراً بظل الذنوب وتعاطيها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَوْفُوا الْعَهْدَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَجِرُونَ لِأَذْقَانٍ سُجَّدًا ۝ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا نَمَقُولُ ۝ وَيَجِرُونَ لِأَذْقَانٍ يَبْعَثُونَ وَيَرْيَدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (١٠١-١٠٠). فبعد الدعوى التي تقاطرت حنا لله هدية صديق قمت بين يدي بجواه سبحانه.

وكذلك حينما ياتي على الأنبياء واحداً نزل الآخر بخبرهم التي تميزوا ها، ومحامدهم التي تفرحوا ها، بنبه إلى الجامع المشترك بينهم، أي البكاء والأئبن، إذ يقول: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَنُكِيًا﴾ (١٠١:١٠٠). وتأكيذا مكانة الدعوى لدى الباري ﷻ نقرأ في الكتاب المبين آية ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ (١٠١:١٠٠)، وذلك في معرض تحيل المؤمنين قديما والموقنين حديثا ممن استيقظوا على النور من حلال الكذب للسرلة والرسالات السابقة، ثم التقوا بالرسول الخاتم عليه الصلاة والسلام، فسمعوا منه رسالة السماء غضة طرية، فتغلوا في أحضان الإيمان من حال إلى حال.

وها هو القرآن مرة أخرى يشيد بأبطال الدعوى، يهذي من روعهم، ويعزي قلوبهم للسكر، ويغف من وطأة أحرارهم بناء سخاوي، إذ لم يبدوا العلة المطلوبة التي تساعدهم على الجهاد في سبيل الله بسبب ضيق ذات اليد يقول: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْبَبْتُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ

تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَرْجًا لَا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (١٠١:١٠٠). ويلما يذكر القرآن بأن البكاء من ميمات الربايين التي لا تفارقهم، يمدح هؤلاء الطائشين الذين يعتلون الحياء لعا ولها فيلصقون أعمارهم ضاحكين عابثين قائلاً: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسُونَ﴾ (١٠١:١٠٠)، وبالتالي فإنه يوه مكانة الدعوى من باب آخر. أجل، إن القرآن يستعمل أنظارتنا إلى الحقيقة نفسها بأساليب شتى ويعشرات من الآيات، ويرشدنا إلى أن نقف موقفاً يليق بمكانتنا الكونية.

هذه تنبيهات القرآن لللحة في هذا الشأن، وإليك تفحات من الحياة السنية للنفس الزكية والروح الطاهرة مبلع وحى السماء عليه فصلا والسلام الذي سارت حياته مستقيمة على هذا النهج القويم؛ فقد كان يقول لأصحابه الأرقباء من حين إلى آخر "طوبى لمن ملك نفسه، ووسعه يته، وبكى على عطيتته" (الطبراني)، فبدلهم على معراج ذي ثلاثة مدارج يستندرجهم من حلالها إلى الآفاق السامية التي يعيش فيها، ثم يلفت أنظارهم إلى ما يقع في عوالم الغيب من شؤون جسيمة تهر القلب هرا فقول: "والله لو تعلمون ما أعلم لصحكتم قليلا ولبيكم كثيرا" (بخاري).

كما كان يرفقهم دوماً إلى أهمية البكاء والأئبن، وينبههم -وبينها معهم- إلى أن فطرات الدعوى النقية التي فاضت خشية من الله تشكل حجاباً إزاء عذاب النار ما لم تلوث بزيغ الرياء وكذبه، "عباداً لا تمسهما النار، غير مكن من خشية الله، وعين نالت تحرس في سبل الله" (هرمزي). وتأكيذا للمعنى نفسه وشوهدا بقيمة الدعوى لدى الحق تعالى كان يستخدم أساليب مختلفة في حديثه إذ يقول: "لَا يُلَاحِظُ النَّارَ رَحُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ لِلْعَمَلِ فِي الصُّرْعِ" (هرمزي).

فما بالذ إذا السكبت هذه الدعوى، وتعلت تلك الآهات في خلوات محجوبة عن العباد مكشوفة على رب العباد.. الخفيفة أنني لا أعرف ميرانا يستطيع أن يبرن قدرها. أجل، كان نبي الحرن ﷺ يصدق هذه المعاني ويشبه إليها جيشاً نزل وأينما حل، مع العلم بأنه لم يتخلف عما أشاد به من مثل علياً قط، ولم يبطئ السير نحو الآفاق البعيدة التي أشار إليها أبداً، بل كان متجاوزاً لها بمسافات شاسعة، فعندما كان يقوم أمام الباري ﷻ للصلاة يستمع في صدره أزيز كآزير يلزخل من البكاء (ابو دود)، وعن ابن مسعود ﷺ قال قال لي النبي ﷺ "اقرأ علي"، قلت يا رسول الله أفسراً عليك وعليك أنزل؟ قال

عميق. فإذا بلغ البكاء هذا المبلغ من الرقاء والنفاء، وكان ترجمة صادقة لما يحور ويهتد من ضلالات في القلب، فعلى المرء أن يوجه ناحية "الأبد"، ويقلعه إلى "سلطان الأبد" في منتهى السرية والكتمان، وأن يجرد من ثلوثه بشائية إرباء، وإلا تحول ذلك الضلال اللطيف للبرار إلى سم زعاف.

### إكسیر الدموع

إننا نعيش في عالم قَدَّ التور الذي يهتدي به، فادققت الأرض وأطلمت السماء، وخيمت القرضى على كل مكان... هلّم بنا إذا، تَلَبَّ ذَوَابَنَ الشَّمْعَةِ لِلْمُنْتَهَى وَغَيِّ وَوَسْوَاسِهَا وَهِيَ تَصْتَعَلُ وَتَنْوَبُ، وَتَتَمَلَّ مِمَاتِ الذَّنُوبِ وَآلَافِ الْمَعَاصِي الَّتِي أَقْرَفَتْهَا أَيْدِينَا، ثُمَّ نَطْلُقْ أَبَانَا كَالْبَلْبَلِ لِلْمَجْجُوعَةِ حِينَ يَنْقُصُ أَهْلُ السَّمَاءِ يَلْخَطُونَ، فَيَهْتَرُ مَسْرِعِينَ

يَمْلِكُونَ مَشَاعِلَ السُّورِ فِي أَيْدِيهِمْ لَكِي يَشْهَدُوا مَهْرَجَانَ الْبُكَاءِ الْعَظِيمِ. إِنِّي أُرَى أَنْ هَذِهِ الْفَتْرَةَ الَّتِي شَبَّتَ فِيهَا أَلْسِنَةُ النَّارِ فِي الْعَظِيمِ، لَهَا أَنْسَبُ الْأَوْقَاتِ لَكِي تُفْتَقِ سَحَابِ عَيُونِنَا بِضَلَالَاتٍ مِنَ الدَّمْعِ. وَإِذَا كَانَ دَمْعُ الْعَيْنِ (إِكْسِيرَا) عَجِيْبًا يَبْطِلُ سِحْرَ كُلِّ مُؤَامَرَةٍ شَيْطَانِيَّةٍ - وَهِيَ كَذَلِكَ - فَمَا عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ تَخْلُصَ عَنْ مَشَاهِدِ الْإِهْتِاجِ الْفَجْأَةِ حَيْثَمَا جَلَسْنَا وَارْتَحَلْنَا، وَنَلْجَأَ إِلَى الْإِسْتِرَاحِ بِغَيُوتِ الْبُكَاءِ، وَنَسْعَى إِلَى إِجْمَاعِ نِيَرَانِ الْآلَيْنِ بِإِكْسِيرِ الدَّمْعِ.

إِنْ دَمْعُ الْعَيْنِ لَدَى أَصْغِيَاءِ الْخَلْقِ سِبَاحَةٌ مِثْلُهُ كَتَشَلُّ أَنْفَاسِ الْمَسِيحِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِيهَا سَبْعُ رُوحٍ فِي الْأَحْسَادِ الْمَيِّتَةِ، وَكَمِثْلُ مَاءِ الْحَيَاةِ تَتَعَلَّقُ بِهِ الْأَرْضَانِ الْفَاحِشَتَانِ، وَتَتَفَضَّلُ بِالْخَيْرِ، وَتَتَذَفَّقُ بِالْخَضِرَةِ وَالنَّمَاءِ. وَإِنْ السَّعْدَاءُ الَّذِينَ أُوْوُوا إِلَى خُلُوتِ اللَّيْلِ لِلْحَيَاةِ عَنِ الْعِبَادِ الْمَكْشُوفَةِ عَلَى رَبِّ الْعِبَادِ، فَهَادُوا عَمَقًا سِكَانَهُمْ، وَشَفَافِيَةً رَوِّقَ بَنِيهِمْ، وَأَمْعَمُوا مَكَانَ أَرْوَاحِهِمْ تَرَانِيمَ مِنَ الْآلَيْنِ وَنَعَمَاتٍ مِنَ الْخَيْرَيْنِ، سَوِّفَ يُسْتَحَوَّنُ سِرُّ الْبَيْتِ حَتْمًا، إِنَّ الْيَوْمَ أَوْ غَدًا، وَيَبْتَدَأُ رُوحُ وَالْحَيَاةِ أَيْنَمَا نَزَلُوا وَحَيْثَمَا سَارُوا. مَدَدَ سِتْرَيْنِ وَسَجَدَاتِ الصَّلَاةِ طَمَأْنَى إِلَى الْإِرْتَوَاءِ بِأَنْدَاءِ

"نعم". فقرأت سورة النساء حتى انتهت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَاءَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾، قَالَ "حَسْبُكَ الْآنَ"، فَانْقَشَتْ إِلَيْهِ إِذَا عَيْنَاهُ تَذَرَفَانِ وَبَحَارِي. أَحْسَلْ، كَانَتْ الدَّمْعُ تَسِيلُ مِنْ عَيْنَيْهِ سَيْلًا، فَهَلْ كَانَ أَصْحَابُهُ الْأَنْفِيَاءُ الْأَطْهَارُ يَشْهَدُونَ دَمْعَهُ وَهُمْ وَاجِدُونَ؟ كَلَّا، بَلْ كَانُوا يَجْهَشُونَ مَعَهُ بِالْبُكَاءِ، فَيُحَوِّلُونَ لِلشَّهَادَةِ إِلَى بَكَائِهِمْ يَنْغَمُونَ بِأَنْفُسِهِدِ الْبُكَاءَ وَيَتَرَمَقُونَ بِأَنَاتِ الدَّمْعِ. وَذَاتَ مَرَّةٍ مَا إِنْ تَلَا عَلَيْهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَقِيمُوا هَذَا الْبَيْدِيكَ تَعْمَلُونَ \* وَتَصْحَكُونَ وَلَا تَتَكَبَّرُونَ﴾ (مهم: ٦٠-٦١) حَتَّى عُلَتْ أَصْوَارُهُم بِالْبُكَاءِ وَارْتَفَعَتْ السَّمَاءُ بِالْآلَيْنِ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَاؤَهُمْ طَفِقَ يَبْكِي مَعَهُمْ دَمْعُ حَزَنٍ، فَمَا كَانَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ أَرَاهُ شُجُوهُمْ وَلَيْسَ شَعَافَ قُلُوبِهِمْ فَطَفِقُوا بِدُرُفِهِمْ دَمْعًا أَكْثَرَ مِنْ دِي قَبْلِ (بِهَيْسَى). فَهَذَا كَانَ بُكَاءَ اللَّيْلِ وَأَيْنَ الشَّهَارِ دَأْمٌ؛

إِذَا كَانُوا يَشْعُرُونَ بِمَلَامَةِ الْإِيمَانِ وَلَذَّةِ الْعِرَافِ فَيَبْكُونَ، وَتَتَوَرَّعُ نِيَرَانُ الْخَبِّ وَالشُّوقِ لَدَيْهِمْ فَيَلْتَحِنُونَ، وَيَرْفِقُونَ عَمَلَهُمْ فَيَحْدُونُ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَدْ خَالَطَهُ شَيْءٌ مِنَ الذَّنْبِ فَيَسْتَعْرِفُونَ، وَتُلَحُّ لَهْمُ مَشَاهِدِ الْآخِرَةِ فَيَرْتَعِشُونَ خَوْفًا وَيَتَنَوَّنُونَ، وَتَغْطِيهِ الْغَيُومُ أَقَافِيَهُمْ فَتَحْجِسُهُمْ عَنِ الرُّؤْيَا فَيُضْطَرُّونَ، وَيَعَاوِدُونَ الْكُرَّةَ فَيَبْكُونَ... تِلْكَ حَالُهُمْ مَا بَيْنَ بُكَاءٍ وَأَيْنٍ يُزَكِّي بِأَخْلَاصِ عِبَارَاتِ التَّضَرُّعِ وَالْإِهْتِالِ إِلَى عَرْشِ الرَّحْمَنِ.

إِنْ أَسْرَعَ الْأَدْعِيَةُ وَصَلَا إِلَى اللَّهِ مَا صَدَرَ مِنْهَا مَصْحُوبًا بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَأَيْنَ الْقَلْبِ، إِذَا مِنْ شَيْءٍ يُمْكِنُ أَنْ يَرْجِعَ حَرَقَةُ الْفَوَادِ وَلَوْعَةُ الضَّمِيرِ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ وَأَسْمَى نَقَاءٍ مِثْلَ الْعَتَرَاتِ وَالْدَّمْعِ. وَمَا زَعَفَتْ دَمْعُ الْقَلْبِ رَابِعَتَا فِي سَاحَةِ مِنَ السَّاحَاتِ إِلَّا تَبَدَّدَتْ حَيُوسُ الْإِيمَانِ أَمَامَهَا مَقْهُورَةٌ مَحْمُولَةٌ. وَإِنْ التَّفَنُّوسُ الْمَرْهَقَةُ حَيْثَمَا نَمَسَ هَذَا النَّوعُ مِنْ نَسَمَاتِ الْقِيُولِ تَلَامَسَ أَوْتَارَهَا، تَقْدَأُ ثَوْرَةً نِيَرَاهَا، وَتَتَشَفَّى بِلَحْظَاتٍ مِنَ الْبُرْدِ وَالسَّكِينَةِ وَالسَّلَامِ. إِنَّ الْأَوَّاهِينَ الَّذِينَ عَاصَرُوا فِي بُكَاءٍ وَأَيْنٍ مُتَمَصِّلٌ هُمْ بِبَلَالِ الْخَبِّ الصَّادِقِ عِنْدَ أَهْلِ السَّمَاءِ. إِذَا انْطَلَقَتْ أَصْوَارُهُم بِالتَّغْرِيدِ أَصْغَتْ سَكَانَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى، وَارْحَاوُ يَصْعَقُونَ إِلَى تَرَانِيمِهِمْ مَسْكُونِ

الدروع.. ومنذ عقود وآلافنا منشوفة إلى أنس القلوب..  
 اكتمهزت سماؤنا وتصحرت أوديتها.. بتنا لا نشعر بلهب البرقان  
 التي تضطرم في أحشاء أهل المكابدة ههنا.. فكان وحوها قطع  
 من الجليد، وأنظارنا جلت من أي معنى نبيل.. لا أثر للهم المصني  
 والعانة للرحمة في الأفق.. ونظرنا لا تعبر عن الصديق الذي  
 بيعت الإيمان في القلوب.. وإنه لمن المحال مكان أن تنطلق نحو  
 المستقبل، وأن يكون لنا وزن في لاحق الأيام هذا العبد من العلة.  
 ومنذ أن أحججت عيوننا عن الدموع، جثت ينايع السماء  
 من حيراتها، وأمسكت أنوار التحليات وغيوت الإلهام عن  
 افطول.. فلا ورد يبت ولا زهر.. وبانت الأنوار تتحدر من  
 السماء متعرة، والنسيم يهب بين الحين والآخر منهكا.. سكان  
 السماء نُهت إلى أنات أهل الأرض ونهيمهم.. والرحمة التي تريد  
 أن تتحول إلى سحاب بُشْرِ، تسعيت الأحفاد دموعها.. كما  
 يكي "ذهبي" فائلا:

كَأَن رِيَاضَ الْوَرْدِ اسْتَعْلَتْ فِيهَا الْفِرَاتُ،  
 وَاسْتَلْبِثَ الْحَيَّةُ السَّودَاءَ عَرْضَ سَلِيمَانُ،  
 وَاسْتَعْرَضَ الْبُلْبُلُ حِينَ ذَابَتْ أَحْشَاءُ الْعَاشِقِينَ،  
 وَتَحَوَّلَتْ أَيَّامُ الْوَصَالِ إِلَى غَمٍّ وَهَجَرَانِ...

ومن بدري، فعلل الأرواح الطاهرة التي ترفرف في السماء،  
 ترقب تلقف الدموع من عيوننا لكي تنامي الغيوم وتستحبها على  
 المطول.. ومن بدري، فعلل عيوننا تفيض بدار من الدموع إزاء ما  
 ألم بنا من نوازل ومهتات، فتمتلي للثر آفاق الملكوت بسحاب  
 عملة بالرحمة الواسعة، وتنبه السحاب إلى أخطائنا ومعاصينا  
 بجرورها أمواج الدمع المتدفقة من أحنائنا، فإذا ها تهلل فرحا، وتناثرت  
 ابتهاجا، وتغنى أناشيد الربيع، ثم تنهمر علينا بالرحمة والبركات.  
 ومن بدري، فعلل سكان السماء، شأهم في ذلك كشائنا  
 حينما تأخذ ماء الورد فضضج به وحوها وغيوتنا في ذكرى  
 الميلاد النبوي السعيد.. من بدري؟ فلعلمهم يستيقظون قطرات  
 الدمع التي تسروحها النفوس المتهتة بالهجران، تمسحون بها  
 وجرهم، ويكبحون بها عيونهم، ويضمونها إلى صدرهم على  
 أفا أعز هدية قدمت إليهم.. إن أخطأنا وذلنا قد طاولت  
 الخيال في تعاطفها.. وإن حالة الأسف ودموع الندم التي تبدو  
 علينا أحيانا، يغلب عليها غلواء الراء والسمعة.. فلا أثر للعانة  
 المؤثرة في نفوسنا.. وأغلب بكاءاتنا ذات طابع ديني ومشربة

بالعصيان.. ومن ثم فحين لا يحتاج البرم إلى شيء قدر احتيانا  
 إلى دموع من الندم تذرف لتعطينا من الأدران التي غلفت نفوسنا  
 منذ قرون.. فعسى أن نطرق باب التوبة بها، ونعود لبني سنواتنا  
 الشائنة من جديد.

إن آدم القطر لما طمتم "عثرته" في عينيه وكثرها حتى بلغت  
 ضخامة قبة "إفرست"، لم يلجأ إلا إلى الدموع لكي يذيبها  
 ويطهرها عن بكرة أبيها. لقد كان مثل شجرة "العود" تحترق  
 رويدا رويدا لتعمر المكان رائحة شديدة، إذ لم يلبث أن اضطربت  
 الشيران في أحشائه، فراح ينتحب بدموع حرى، وينوي بأنات  
 شديدة حتى يرتقي إلى سماء القبول، وصار يحط أنظار الملائكة  
 والملائ الأعلى. وعندما انقضت الغمة وانتهت "للكابدة"، أصبح  
 كل يوم جديد يشرق عليه بأهلي بنات العفو وأرضي هاني العفران.  
 بعد أن اجترحت أيدينا ما اجترحت من الآثام، وبعد أن  
 عانينا ما عانينا من الحقوة والخرمان، أرى أنه لا يبلو لنا سوى  
 عفرح واحد، وهو أن نترصد شواطئ الخللوات المفتحة على  
 التحليات، ونسبل ستائر الليالي السوداء على رؤوسنا، ثم نخر على  
 جباهنا ساحلين منشقين، لا يرانا أحد ولا يسمعنا سوى السميع  
 البصير. تعالوا بنا تبك وتلهف على تلصنا لعهدنا، وإهدام فائنا،  
 وعجزنا النصل عن إخلاص أعمالنا، وضرونا ذات اليمن وذات  
 الشمال أثناء سلوكنا، والثواء خطانا، والغرراف استقامتنا، وعدم  
 توفيتنا حق للقام الذي يؤانا الباري ﷻ، وحق المكانة التي توحنا  
 بها، وعدم وفوقنا موقفا مسترقا فويا يوازي المن والأيادي التي  
 كرمنا ها.. أجل، دعونا تبك أيضا على كل من أساء التصرف  
 مثلنا.. بكاء لم يشهد غنله الأولسون والآخرون، حتى يعجب  
 أهل السماء الذين كان البكاء دليلا، فيسكبوا دموعهم لغاة  
 لدعونا، ويرفعوا أيديهم استعانة لأئنا منذ اليوم.

أجل، نحن لم نعد المكانة السامية التي كرمنا ها حق قدرها،  
 ولم نصمد في مواقفنا بعم صادق ووعي نافذ وإخلاص عميق.  
 لقد انحلت الأبدى للتماسكة، وهجر الحبيب ديارنا، وعصفت  
 رياح الخريف برياح الفروود فأبادها، واكوت أحشاء البلائل  
 بلهب الفاجعة، وأخذت تفسد بأهات عميقة، وتبكي بأنات  
 ملانة.. أجل، عاضت التنايع، وحتت الخدائل، وبانت الأثراك  
 تسلب بالول في كل مكان، وتعب اليوم تحرق أرجاء الأرض  
 والسماء.. آن الألوان لكي تتحدث بلسان قلوبنا، ونتر قطرات



# حراء

مجلة علمية ثقافية خيرية  
www.hiramagazine.com

## أمداد الرحمن..!

على أرائك الراحة لا تجلس،  
وفي الظلال عن حرّ الشمس لا تستتر...

شبه عن حبيبي روحك  
واسمعتي ليري كيكلك...

فأنت على قفاك لأعجب فطرتك  
وعرفا قوتك من حبيبتك مستعجبك

وبذرت في الأرض القاحلة بذر  
وحببت في الحصى ريت...

جلدك لالده وهبوك لولي الهناء  
وبدأ به حيلت بعدك ليحضر لبركتك

«يَسْمَعُ نَبِيُّكَ»  
«وَيَرْكَبُ مَنَاقِبُكَ» وَ«يَقُولُ بِحَسْبِكَ»

\*\*\*



من (كسر الذم على وحشتنا وغربتنا، فنهي عهد التصحر المميت.  
لقد منّ الله علينا بأطراف حليّة مثل الوجود والحياة والخس  
والشعور والإفراخ... ورسم لنا آفاقا ومساكك للحياة تناسب  
مع ما جهّزنا به من مواهب وطاقات. بيد أننا بددنا كل شيء  
وأفسدنا في ذلك أرحاء لأهوائنا الطائفة ورعائنا الجامعة، فأخذنا  
تندحرح القهقري، ونراجع عن المراتبي الذي كُسرنا به، ولغوي إلى  
فاح النسوات، وإذا بنا نخطئ بالمستوى الإنساني الرفيع، ونلوث  
الكرامة الإنسانية، ونلوث أنفسنا معها. بعد هذا الماحر السحيق،  
ألا ينبغي على الأقل، أن نبذل العالي والقيس لكي نحضي قلما فيما  
نقضي من أعمارنا على خط القلب السدي لا ينحرف ولا يحد؟!

## هاشدة حزي

إذن، تعالوا نُهَيِّسْ أيام البؤس التي قضيناها ضاحكين عابثين، تعالوا  
نعترف على أوتار الدموع مترنمين سمعات البسكاء والأنين، هلموا  
نودع حياة اللهو والهو، ونحذر بدثار الهم والمعاناة حتى نكشف  
أبعادا أخرى من الحياة ونستشعر بها في أعماقنا. تعالوا نصيغ إلى ألوان  
من المهرم، وسنهد السيل التي تقربنا إلى عظماء المكابدة من قاصمون  
الأواهن آلامهم وينشأطروهم أحزانهم.

لقد اندثرت أيام عمرنا الخصبية في ضياع خفيف، وولّى ربيع  
الحياة دوغما رجعة. وباتت طلائع الليل الهميم تلوح في الأفق العري  
تندثر باتجاه هار العصر الوضي، فلم يبق لنا -والحال هذا- إلا أن  
نوقد مصباحنا ساطعا لا يحد بوره استعدادا لذلك الليل الطويل. فلا  
أقل من أن نتغص -سدا الساعة- فلولوب إلى رخدنا، ونسلم شعثنا،  
ونعسود إلى حوهرنا، فنرطب حرقة أكبادنا بقطرات من دموعنا. إذ  
لم يقطر على وجه الأرض شيء أعز وأكرم من الدمع عند الخالق  
ﷻ، وإن تلك القطرات التي تاترت على وجه التراب ستحوّل أرحاء  
السيطة كلها إلى حبات زاهرة في عهد ليس سعيد.

ناشدكم الله أن تحب معا لتكون سقائي دموع في هذه الصحراء  
الترامية الأطراف، التآكلية من الجفاف، فقيم موائد زاهية حذينة  
العهد بالسما، تقدم للرائح والغادي فواكه غضة طريفة، كلفاها  
شرب شوق ولهب أشجان، ونعساها آين قلب ونحيب وحدان. ■

<sup>(١)</sup> ترجمة عن التركية: نوزاد صوفيا.

<sup>(٢)</sup> كجيلسو الطرف في الأدبيات التركية: الأصحاء أصحاب القرب الإلهي الذين جباههم  
الله بمسحة ليعبر وبقاد المسرة. (الترجم)

## مظاهر التكريم الإلهي لبني الإنسان

أ. د. الشاهد البوشيخي \*

الحديث عن تكريم القرآن للإنسان هو حديث عن موقع الإنسان في هذا الكون، وعن أصل الإنسان، وعن منهج تكريم الإنسان. الحديث عن تكريم الله ﷻ حديث عن رتبة الكرم وكيف أفاض من كرمه على هذا الإنسان فجعله مكرماً، مكرم الأصل، ومكرم الفرع، فقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا نَبِيَّ آدَمَ وَخَلَقْنَاهُمْ فِي آلِ إِبْرَٰهِيمَ وَزَرَعْنَاهُمْ مِنْ الصَّيِّبَاتِ وَقَسَدْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهُمْ خَلَقْنَا نُوحِيْلًا﴾ (٢٠: ٥-٧). الكرم جامع الخير كله، فالكرم ليس هو الخود كما هو شائع، ولكنه ضد اللوم. الكرم جامع الصفات الحميدة كلها، والكرم هو المتصف بثلاث المحامد اتصافاً بعلها ظاهرة فيه ظهوراً جلياً، هكذا يحدد أهل اللغة الكرم. فهو ضد الشيم، وليس ضد البخل كما هو شائع، وإكرام الله ﷻ لصاحبه من اللامكة أو من الناس هو إنعام عظيم من وجوه لا عدّها ولا حصر على هذه الكائنات.

والتكريم جعل الشيء المكرم كريماً في ذاته ليس معناه عليه إنعاماً عاماً بصفة من الصفات أو بمجموع من الصفات، ولكنه جعله في حد ذاته كريماً أي بنفسه. فكل شيء شرف في بابه فقد كُرم، والتكريم جعل الشيء كريماً فعلاً، والله ﷻ حين قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا نَبِيَّ آدَمَ﴾ حاطب "الإنسانية" بتعبير اليوم، و"بن آدم" بتعبير القرآن، فأعاد أمرين: أفاد تكريماً مؤلّاه الدين تناسلوا من آدم ﷺ إلى قيام الساعة، ذكروا كانوا أم إناثاً، وأفاد أن من تكريمهم أيضاً أقام قد تناسلوا من آدم، وآدم قد كرم قبل في الانطلاق، في انطلاق الإنسانية معه، وذلك ما جاء على لسان إبليس عوره بالله مه حين قال: ﴿قَالَ لَأَزِيدَنَّكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَسْرَفْتِي إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيْلًا﴾ (١٦: ٢٢-٢٣)، «هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ» إشارة إلى آدم ﷺ حين أمر الله ﷻ للامكة أن يسجدوا له. فأدّم بعض هذه الآية قد كرم أيضاً، وبعض الآية الثانية كُرم ذريته، ومن تكريم ذريته إشعارهم وتذكيرهم بأنهم أبناء آدم. فما هي مظاهر تكريم آدم ﷺ؟

### مظاهر التكريم الإلهي لآدم ﷺ

آدم ﷺ قال الله ﷻ فيه: ﴿إِنَّمَا نَعَدُكَ أَنَّ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ (١٦: ٢٣)، فأول تكريم لآدم أن خلقه الله بيده، وهذا فيه تنبيه على أن هذا المخلوق ليس خلقاً عادياً من قبيل "كن فيكون"، ولكنه خلق له خصيصية، هي أن الله ناشره بيده، فهذا تربيته بعبادة هذا الإنسان وهذا المخلوق، ثم إنه ﷻ بعد ذلك قال: ﴿يَا آدَمُ إِنَّمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ الْقُرْآنَ فَاسْمِعْ أَفْئِدَةً مِّنْ الْإِنسَانِ مَا وَعَدَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ \* الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَّلَكَ﴾ (١٦: ٢٣-٢٤)، ﴿إِنِّي خَالِقٌ نَّبَرًا مِنْ طِينٍ \* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (١٥: ٢٦-٢٧). هذه التسوية ترشد إليها آية أخرى عبارة أخرى توضح معنى هذه التسوية حين يقول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٩٠: ٤). هذه هي التسوية والتعديل الأول، والتسوية والتعديل اللاحق في كل مخلوق، أن يعطى الناس جميعاً على العطرة

الأول: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (إبراهيم: ٣٠)، هذه النسوية أيضا مظهر من مظاهر التكريم لأدم عليه السلام.

ثم بعد ذلك الله ﷻ تفسح في هذا المخلوق من روحه ﴿وَإِنِّي خَائِلٌ بِشَرِّ مَا طِينٌ﴾ ﴿فَإِذَا سُرِّيَتْهُ وَتَفَعَّلَتْ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَفَعَلُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (ص: ٧٧)، فهي هذا الإنسان في الأصل الأول شيء من روح الله ﷻ، به سيصلح بعد تلقى هذه المهمة الكبيرة التي أُنيطت بالإنسان، مهمة الخلافة، به سيصلح بعد أن يكون عابدا لله ﷻ، به سيصلح بعد تلقى الهدى النازل من عند الله ﷻ، الذي هو أيضا من حسن ما تفتح في آدم عليه السلام، أي إنه أيضا من روح الله كما قال الله ﷻ: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثًا رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتُمْ تَدْرُونَ مَا كُنَّا كَالْكِتَابِ وَلَا الْإِمَامِ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ (النور: ٣٥)، فهذا القرآن وكل الهدى النازل من عند الله ﷻ، هو من حسن ما تفتح في آدم عليه السلام، وهذا النازل يقع الانضمام مع هذا القسم في الإنسان، فيكرم الإنسان ويشرف ويسمو، إذ هذا النسخ من روح الله ﷻ فيه هو من مظاهر تكريم آدم عليه السلام.

### حرية الاختيار

ومظهر آخر من مظاهر التكريم هو أنه مُنح الحرية والاختيار، ومعهما تكون -طعا- المسؤولية؛ وهذا أيضا بالنسبة لأدم أيضا في اللحظة الأولى حين قال له ولروحه: ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ (البقرة: ١٦)، هذا أمر، وهذا هي: لكما الحرية كل الحرية ولكما الاختيار التام بأن تصعلا هذا أو هذا، لكن إذا حدث هذا فلا إسكال ولكما الأجرة وإذا حدث هذا فهناك إسكال ولكما الوزر، فتبين على الحرية دائما المسؤولية، وعلى المسؤولية الثواب أو العقاب، فهذا أيضا من مظاهر تكريم الله ﷻ لهذا الإنسان، أنه منحه عقلا به هو حر يختار، عقل مميز، ميز به بين الصالح والطالح، بين ما ينفع وما يضر، بين الطهارة والنجاسة، وأصدر له الأمر على ضوء ذلك، عكس للملائكة الذين هم مسخرون لما هم مسخرون له، وعكس للشياطين الذين هم مصدودون عن الطاعة ولا يعرفون إلا المعصية، هذا الإنسان كان مسؤولا عن الحرية التي أعطيت له.

ثم إن من مظاهر التكريم المرتبطة هذه الحقيقة نفسها هو أن الله علم هذا الإنسان كيف يصلح خطاه إذا أخطأ، وكيف يعود إليه مكرما إذا أهان نفسه بالخطأ، وكيف يحو السببة بالخشنة ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَصَابَ عَلَيْهِ﴾ (إبراهيم: ٣٧)، هي كلمات الاستغفار، وصارت هذه دائمة في بيته مستمرة ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (البقرة: ٢٣٨)، بعد ذلك كانت هاته المنحة الكبيرة التي من أجلها خلق آدم، هي منحة الخلافة، هي منة الخلافة بعد كل هذا وبعد هذا التدريب في هاته الصور استخلف آدم في الأرض؛ إذ في الأمر الأول قال الله ﷻ للملائكة: ﴿وَإِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠) وكل ما سبق ذلك من صور التكريم الأولى ومن التدريب التي أحربت عليه في مرحلة الجنة، كل ذلك تحضير للمنة الكبرى التي هي الخلافة، التي من أجلها خلق

الأول: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (إبراهيم: ٣٠)، هذه النسوية أيضا مظهر من مظاهر التكريم لأدم عليه السلام.

ثم بعد ذلك الله ﷻ تفسح في هذا المخلوق من روحه ﴿وَإِنِّي خَائِلٌ بِشَرِّ مَا طِينٌ﴾ ﴿فَإِذَا سُرِّيَتْهُ وَتَفَعَّلَتْ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَفَعَلُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (ص: ٧٧)، فهي هذا الإنسان في الأصل الأول شيء من روح الله ﷻ، به سيصلح بعد تلقى هذه المهمة الكبيرة التي أُنيطت بالإنسان، مهمة الخلافة، به سيصلح بعد أن يكون عابدا لله ﷻ، به سيصلح بعد تلقى الهدى النازل من عند الله ﷻ، الذي هو أيضا من حسن ما تفتح في آدم عليه السلام، أي إنه أيضا من روح الله كما قال الله ﷻ: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثًا رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتُمْ تَدْرُونَ مَا كُنَّا كَالْكِتَابِ وَلَا الْإِمَامِ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ (النور: ٣٥)، فهذا القرآن وكل الهدى النازل من عند الله ﷻ، هو من حسن ما تفتح في آدم عليه السلام، وهذا النازل يقع الانضمام مع هذا القسم في الإنسان، فيكرم الإنسان ويشرف ويسمو، إذ هذا النسخ من روح الله ﷻ فيه هو من مظاهر تكريم آدم عليه السلام.

ثم أمر الله ﷻ ملائكته -وهم عباد مكرمون- بأن يسجدوا لأدم عليه السلام، وهذا أيضا مظهر من مظاهر تكريم هذا المخلوق، وفيه إشعار بأن جميع هؤلاء الملائكة -وهم جنود مهندون للقيام بوظائف لا عد لها ولا حصر في ملك الله- سيخضعون لهذا الكون الذي هو أيضا خادما لهذا الإنسان، ليعبد الله ﷻ. ثم هذا التعليم للأسماء كلها، وهو منامد الخلافة، فالملائكة حين أحضرهم الله ﷻ قبل خلق آدم بأنه جاعل في الأرض خليفة قالوا مستعربين: ﴿اتَّخَعَلْ فِيهَا مَنْ يَتَّبِعُ فِيهَا وَتَشْفَقُ السَّمَاءُ وَتَنْشِئُ نُسُجًا يَخْدَعُهَا وَيُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُكُونُوا وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة: ٣٠-٣١)، فهذا التعليم لأدم هو محض موهبة وفضل من الله ﷻ من به على أينا الأول آدم عليه السلام الذي هو أصل الإنسانية ذكورا وإناثا، ثم من بعده كان إشعار هاته النعمة نفسها على آخر صفوة خلقه كذلك محمد ﷺ حين قال له: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (البقرة: ١٧١)، الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (البقرة: ١٧٢)، هنا جاء بعد صفة الأكرم

تعالى ﴿سَرَّيْنَهُمْ أَهْلًا فِي الْأَقَالِي وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ  
الْحَقُّ﴾ (صافات: ٢٢). وفيه ما هو فعلا مذكرا بعبادة مستمر دائم لا  
حد له ولا حصر، لا يملك حتى القدرة الإحصائية، وقد أضاف الله  
تعالى في آيات متعددة أنه سحر لنا الشمس والقمر، وسحر لنا  
الليل والنهار والبحر والفلق والأنعام... وما لا نعلم ﴿وَأَنْ تَعْلَمُوا  
بِرَغْمَةِ اللَّهِ لَا تَخْضَعُوا﴾ (براهيم: ٢٤). فالله ﷻ سحر لنا كل شيء،  
هذا لتسحر نحن بجليل نعمة الله ﷻ علينا، فنشكر المنعم الكريم،  
وننتجبه إلى أن نجده بكل ذلك الذي سحر لنا، ونحسن تسخير  
ذلك في عمارة أروحه وفي نفع عباده كما في الحديث: "الخلق  
كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعباله" (رواه ترمذي ولفظ).

### إنزال الهدى الرباني

ومن هاته المظاهر إنزال الهدى الرباني إليهم، وتزويدهم بمكة  
بمفطهم كرمهم، وبمحافظة على ذلك التكريم الأول الذي علم  
في الأصل أي آدم الذي منه تناسلوا، وعلى التكريم الأول الذي  
هو الفطرة التي خلقوا عليها، إذ من السوادة إلى البلوغ تعرفوا  
الإنسان حالات متعددة تؤثر فيه، حالات كسبية قد تطمس  
فطرته تماما، ذلك أن إبليس حين قال الله ﷻ: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ هَٰذَا  
الَّذِي كَرَّمْتَنَا عَنِ لَيْلَىٰ أَعْرَضَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَنْتَ كَرَّمْتَهُ إِلَّا  
قَلِيلًا﴾ (إسراء: ٦٢). منذ تلك اللحظة يس من آدم خصوصا بعد  
الاحتيا، ولكنه قطع وعدا على أن يعرض ذريته من كل الوجوه  
﴿لَأَفْعَلَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ثُمَّ لَا تَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ  
وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ (الفرص: ١٢٥-١٢٦)، هم  
خلقوا حقا كما قال الله ﷻ: "خلقنا عبادي حقا" (رواه  
سلم)، أي على الفطرة المستقيمة كأبهم آدم ﷺ، ولكن إبليس  
هذا الذي لم يرض أن يكرم آدم عليه، قطع وعدا على أن يضل  
أبناء آدم، ويقعد بهم في الطريق نفسه، في الصراط، حتى أنه حذف  
الحافضة لم يقل: "في صراطك المستقيم". ونظرا لهذا الأصل الأول  
الذي يتنير إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّبِعُوهُ  
عَدُوًّا﴾ (مائدة: ١٨) هو عدو لكم في الأصل، من لحظة الانطلاق،  
وقطع على نفسه أن يعادىكم باستمرار، لا يعرف كلا ولا  
ملا، وليست له وظيفة ولا مهمة غير هاته، فاختلوه يا بني آدم  
عدوا، أقول: إبليس وجده وأتباعه من شياطين الإنس والجن  
يحتلون على أبناء آدم في أن يخرجوهم عن الصراط المستقيم،  
أن يخرجوهم من النور إلى الظلمات ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ  
الظَّالِمُونَ يُخْرِجُوهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ (الفرص: ١٢٥) عملية  
الإخراج هاته التي قد تأتي لعمل الإنسان بعد أن يصير مسؤولا

آدم ومن أحلها كان ما كان من بعده من ذرية، فهذا أيضا من  
تكريم الله ﷻ له، وما معنى هاته الخلافة؟ معناه أن هذا الإنسان  
في موقع النيابة عن الله ﷻ، ولكن لا يتوب أحد عن الله ﷻ،  
فالله ﷻ وضع هذا الإنسان في موقع أعطاه فيه الحرية والاختيار  
وزوده بالزواجر الضرورية للقيام بالهمة وجعله في الأرض وسحر  
له كل ما سواه، هذا لا يظهر في التكريم الأول لآدم ﷺ ظهورا  
واضحا، ولكنه سيظهر بعد في مظاهر تكريم ذريته من بعده.

### تكريم آدم تكريم لذريته أيضا

فإذا مظاهر تكريم الله ﷻ لآدم ﷺ كثيرة ومتنوعة، وهي لتعلمه  
في موقع عليّ جدا، وحسنا أنه في موقع الخليفة وأنه حين أطيح  
إلى الأرض واستخلف فيها زود باهدي والاحتيا، ثُمَّ اخْتَبَاهُ رَبُّهُ  
فَقَاتَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (مائدة: ١٢٢). فحصلت له هاته الهداية التي جعلت  
لا يصغر منه إلا ما يتسلح مع تكريم الله ﷻ. وهاته الهداية  
ستستمر قانونا عاما في ذريته من بعده.

فهذا التكريم لهذا الإنسان الأول الذي هو آدم ﷺ، تصبح  
الإشارة إليه في حد ذاتها مظهر من مظاهر تكريم بني آدم، أي  
إن الله ﷻ حين قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (إسراء: ٧٠) ولم  
يقُلْ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا النَّاسَ﴾ أو "البشر" أو "الإنسان"، فهو إشعار  
بأنهم بأبناء ذلك المخلوق الأول ذي النعم المذكورة، والموقع  
الذي هو موقع النبوة والرسالة، الراشد المهدي، والعبد الصالح  
المصلح، والإنسان السيد وسط كتابات متعددة متنوعة كلها  
جعلت خادمة له وخلقت من أجله، وخلق هو لنفسه آخر هو  
العبادة.. فهاته الإشارة: ﴿بَنِي آدَمَ﴾ في حد ذاتها تكريم للإنسان  
خصوصا في زماننا هذا، حيث أرفع من أرفع أصل الإنسان  
إلى القدرة.. إلى كتابات هي في الأصل عمادة للإنسان وخلقت  
مسخرة له. فمن امتنان الإنسان وإمانته أن يجعل عادما لغير الله  
ﷻ، ومن تكريم هذا الإنسان ألا يجعل عبدا إلا لله ﷻ. فما هي  
مظاهر تكريم بني آدم بعد آدم ﷺ؟

### مظاهر التكريم بعد آدم ﷺ

مما نص عليه القرآن الكريم في مواضع كثيرة أن هذا الخلق كله  
لا سيما مخلوقات الأرض، ما خلقت إلا لبني آدم ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ  
لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ حَيْثُ مَا فِيهَا﴾ (الفرص: ٢٩). ثم أيضا من تكريم الله ﷻ  
لبني آدم أنه سحر لهم ما في السماوات وما في الأرض ﴿أَلَمْ تَرَوْا  
أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (قصص: ٦٠).  
هذا التسخير فيه ما يدخل ضمن الإرادة البشرية، معنى أننا  
نكتشف سنه ونكتشف معانيه تسخير، فهو داخل في قوله

ويتأهل لحمل الأمانة بعد أن يبلغ ويرشد، يواجه الأمانة مباشرة، في هاتيه لمرحلة يأتيه الهدى، يأتيه المشجع الرباني الذي يرشده إلى الكيفية التي بها يعسود إلى كرمه الأول، والتي بها يحافظ على تكريم الله ﷻ له، والتي بها يكرم سواه أي يعامله معاملة كريمة، هذا المشجع هو الرسائل كلها، من أجل هذا الأمر جاء الرسل وأرسلت الرسائل، بتعير آخر: إن الله ﷻ من بكرمه ليس آدم أنه منحهم هدية منه ورحمة بهم وتفضلا منه تعالى. هي منهج إذا صاروا عليه طلبوا كرماء كأبيهم آدم بعد أن احتيا الله وهداه، وحافظوا على هذا الكرم وعاملوا بعضهم بعضا بما يناسب هذا الأصل الأول الذي هو التكريم. إذا فكل خروج عن منهج الله ﷻ فيه إهانة لهذا الإنسان، وفيه تدليس له، لأن الكرم يضاده اللوم، فالذي يخرج في تعامله فردا كان أو جماعة عن

هذا

## القرآن وكل

### الهدى النازل من عند الله

ﷻ، هو من جنس ما نفع في

آدم؛ وبهذا النازل يقع الالتحام مع

هذا القسم في الإنسان، فيكرم الإنسان

ويشرف ويسمو. إذ هذا النفع من

روح الله فيه هو من مظاهر

تكريم آدم ﷻ.

لأقل منه بدل أن يعطيه للأكرم منه الذي هو الله ﷻ. ومثل ذلك إذا أعطاه مثله ماذا؟ لأنه وضع الشيء في غير موضعه، إذ من ميثاق الخلافة أن هذا الإنسان لا يعد إلا الله وفن ما أنزل الله وهدى الله ﷻ: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٣٨) فإن يعد غير الله -كيما كان هنا العير- هو وضع للشيء في غير موضعه ومخالط للتكريم، لأن أسره بعبادة الله ﷻ هو من تكريم الله ﷻ له، أن يتجه إلى الأعلى إلى الله ﷻ، وحين ينصب مخلوق ما في مقام المعبود كذلك يضع نفسه في غير الموضع الذي وضع فيه، وذلك أيضا خلاف التكريم لهذا الإنسان. فإذا هاته النقطة التي هي عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له، وتعبيد الناس لله وحده لا شريك له هي أكرم مظهر

لتكريم بني آدم، وعكسها هو أكر إهانة وتدنيس لهذا الإنسان، لأن في التكريم تركية وتطهرا ﴿وَإِذَا عَزَمُوا بِالْعَدُوِّ مَرْوَا كَرَّمَا﴾ (البقرة: ٢١٢) أي لم يتدنسوا بذلك الذعر وكانوا منطهرين. فكل وضع فيه غير وضع العادة هو وضع فيه إهانة للإنسان، وهو مخالف لتكريم هذا الإنسان كيف ما كان هذا الوضع، ولذلك عير الله ﷻ بقوله: ﴿إِنَّ الْبَشَرَ لَكَلِّمٌ غَلِيظٌ﴾ (البقرة: ١٦٣). ولعلهم في العربية هو وضع الشيء في غير موضعه. فلا يوجد حل بدرجة هذا الخلل، فيما خلُق الإنسان له أساسا يقع فيه الخلل، ويُعكس تماما.

منهج الله ﷻ هو في الحقيقة يصير بذلك ليما غير كرم، ويعامل الآخر معاملة لئيمة ليست كريمة. وما أن ضد الكرم الإهانة ﴿وَمَنْ يُهَيِّئِ اللَّهُ فِتْنًا لَّهُ مِنْ تَكْرِمٍ﴾ (الفتح: ١٨)، كل خروج عن منهج الله ﷻ فيه إهانة لنفسها وإهانة للآخر الإنسان المعامل ومخالفة للأصل الأول ولتقتضي الفطرة، ولتكريم الله ﷻ لآدم وبني آدم.

ما هي الأسس الكبرى لهذا للنهج؟ نكتفي بأمرين فقط، مظهران كبريان لتكريم الله ﷻ للإنسان في المنهج النازل لهذا الإنسان:

### ميثاق الخلافة

الأمر الأول: أنه طلب منه أن يعبد هو وحده لا شريك له، وجعل الهدف من خلقه هو هذا ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ (البقرة: ٢١)، وجعل شديد العقوبة بل أشد العقوبة على الإطلاق أن يعد هذا الإنسان غير الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرَ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة: ٢١٨)، لأن عبادة الإنسان لغير الله فيها إهانة عظمى لآدم الذي تنسب إليه والذي أسجد له الملائكة وجعل خليفة وسيدا على سواه فيهيئه هذا العابد لغير الله بعبادة شيء أدون من هذا الإنسان، فكان الإنسان يتكس تماما ويُدس ويحط من قيمته، فبدل أن يتجه إلى فوق بأن يكرم ويشرف يدنو ويتجه إلى تحت، لأنه يعطي العبادة

### إقامة القسط بين الناس

الأمر الثاني: يُتبع هذا ويتبع عنه كله كذلك حاوت الرسائل كلها، وله نزل هذا الهدى من عند الله ﷻ، هو إقامة القسط بين الناس: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (عبدة: ٢٥). فكل ما حدث قبل هو من أجل هذا الأمر، هذا القسط الذي تنص إليه هذه الآية هو الذي يحفظ لكل ذي حق حقه، أي هو الذي يجعل الإنسان في نفسه يعامل نفسه بكرم ويحافظ على تكريم نفسه كأصل خلقها الأولى وهو الذي يجعله حين يتجه بسلوكه نحو الآخر، كذلك يعامله بكرم. ومن هاهنا كانت كل الشواهي تعني أن المنهج عنه فيه إهانة

# حراء

مجلة علمية ثقافية فضيلة  
www.hiramagazine.com

## أشعل شمعك...!

شمعك فأشعل،

والليل فأهزم،

والظلمة فأعترق...

إذا انطفأ كل ضوء، وغار كل نور،

فصن أنت شمعك،

وغصص بها مخلوقات الليالي،

واجعلها مناراً للغارقين في اللجج المغميات،

واجعل قلبك بالأمل يخفق،

ونبضك بالحياة ينبض...!

\*\*\*



للإنسان، وإضرار بالإنسان، وفيه خلاف تكريم هذا الإنسان... وكل الأوامر عكس ذلك؛ فيها تكريم لهذا الإنسان، وفيها فعل ما يجعله كريماً وما ياسب كرمه، لأنها تخر إليه المنفعة، وتقرأ عنه المفسدة. فإذا كل الصفات اخيئة وكل الأفعال القبيحة هي في هذا الميزان إهانة للإنسان وليسست (أكراماً له)، فهي ماقضة لتكريم الإنسان. وعلى ضوء هذا نستطيع القول بأن الإنسان اليوم في وضع لا يحسد عليه؛ الإنسان في العالم الإسلامي وفي غير العالم الإسلامي لا يحظى بهذا التكريم لسبب بسيط وأضح أنه لا يسر وفق هذا المنهج الذي هو وحده بضمن تكريم هذا الإنسان وبضمن معاملته بكرم، وهو وحده الذي يقوم الناس فيه بالفساد، لأن من الذي يعرف الفساد أولاً؟ هل يستطيع الإنسان أن ينصب نفسه في موقع المشرع لهذا الإنسان؟ هل يستطيع الإنسان أن ينصب نفسه في موقع يخطط فيه لهذا الإنسان بمحزل عن هدى الله لهذا الإنسان؟ كلا ثم كلا؟ هل يستطيع هذا الإنسان محض عقله فقط، ومحض إمكانياته الشخصية التي ليس لها مدد من الله ﷻ المائل في الرسالات وهيها في زمانها القرآن الكريم؟

هل يستطيع الإنسان اليوم بغفر القرآن أن يهتدي إلى طريقة على جميع المستويات: في المستوى الاقتصادي والسياسي والتعليمي والإعلامي والحقوقي والمادي والروحي...؟ هل يستطيع الإنسان محض إنسانيته الشخصية معزولاً عن الله مستغلاً عن هدى الله مستعناً بمنهج الله؟ هل يستطيع فعلاً أن يرسم لبي آدم طريقة بها يعيشون مكرمين كما خلقهم الله ﷻ؟ كلا ثم كلا؟ إنه لا تكريم لهذا الإنسان في ديارنا هاته وفي غير ديارنا، وفي دار الأرض كلها التي وعده بوراثتها الصالحون ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠١)، وعباد الله الصالحون يشرحهم الآية بوضوح، قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٠)، والإيمان عسوان على كل ما يدخل إلى عقل إبل آدم من المعلومات التي مأتاها الوحي أسامياً، و"عمل الصالحات" هو عنوان على كل ما يلزم لحاقلة الله ﷻ في الأرض وفق شرع الله، وفق هدى الله، حسب ميزان الله، فلا صلاح لعمل إلا من بعد أن يأذن الله في هذا العمل ويرضى عنه. ■

٥٥ الأمين العام لمؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) / المغرب.

ملاحظة: لقد تم تحرير هذا المقال من إحدى محاضرات الدكتور الوسيحي وفيها ألفها في ١٢ مايو ١٩٩١ عكاش-المغرب.



## أسماك ترصد الزلازل

المنطقة محفلاً وراية

ما يرسد على ألف قبل

من السكان!

وحادثة أخرى مماثلة في "سان فرانسيسكو"

حيث أطلع المحللون على تقرير سقي الكارثة هناك وفيه:

"جيش من الخردان عملاً شوراوع بلدة "سان فرانسيسكو" -بالقرب

من لوس أنجلوس الأمريكية- مع أن الناس كانوا يفترضون

أن لديهم قلمو عملاً مما من الخردان. وفي اليوم التالي نصيب

هزة عنيفة وادي "سان فرانسيسكو" وتؤدي إلى كارثة بيبة.

وفي زلزال تسونامي الأخير في الجزر الأندونيسية وما حاورها

لاحظ السكان حركة مريبة للحيوانات قبل حصول المدّ القليل

وفروحا جماعيا بأفهام الأعالي.

جول المحوي

ف

في مساء السادس من أيار لعام ١٩٧٦م وفي

مدينة "فريزلي" الإيطالية ارتفعت أصوات

الحيوانات فجأة ودونما سبب طاهر الكلاب

تنبح وتغري ها وهناك التقطط مذعورة، الفئران عملاً الأرض،

الحياة والأنتصار هائلة وعصية، وتداول أكثرها أن يسحب

أرسلته، الطيور تسعى صارية بأحسنتها ومطلقة صراحت تندي

منها المزج، وكان شيئاً ما يستتر هذه الحيوانات ويدفعها لهذا

التصرف العجيب.

لم يصدى سكان المنطقة ما رأوه بأعينهم، وصار ذلك محور

حديثهم تلك الليلة، ونمضي الساعات ببطيئة، وما إن حلت الساعة

التاسعة من تلك الليلة حين شعر السكان بالأرض تهيد من تحت

أقدامهم، وما هي إلا ثوان معدودات حتى ضرب زلزال عظيم

نظرة علمية نحو هذه الظاهرة

لقد أثارت هذه الحوادث وأمثالها اهتمام ودراسة عدد من

العلماء، خاصة وألمسا تتكرر بين فترة وأخرى، لقد أصبح الأمر

جليا واضحا في حتمية وجود عرائس حفية للحيوانات تزودها

نوع استشعار لا يتركه البشر بحواسهم المحدودة وأجهزهم المعقدة الحديثة.

من أولئك العلماء الذي اهتموا بهذه الظاهرة في السبعينيات "هلموت تريوش" الأستاذ بجامعة برلين الذي قام باستئارة الاهتمام هذا الموضوع قديماً - في عام ١٩٧٦م - وأخذ يجمع ما تآثر هنا وهناك من أحداث مثالية وقعت عبر التاريخ، وما سبق بعض الكوارث الزلزالية - أمثال زلزال "هلبس" اليونانية، وزلزال "لنسون" المندثر - من ردود فعل "غريزية" للحيوانات تنبه إلى حد كبير ما حدث قبل كوارث معاصرة ومثالية كزلزال مصر الأخير ١٩٩٢م، عندما اضطربت الحيوانات في حديقة الحيوان بالحيرة قبل عشرين دقيقة من الزلزال المندثر، وما شابه تلك الحالات في "سان فرانسيسكو" وغيرها.

بعد ذلك بقليل - وبالتحديد في عام ١٩٧٧م - عقد في الولايات المتحدة الأمريكية مؤتمر علمي اشترك فيه عدد من العلماء من مختلف التخصصات وأهمها علوم الأرض والحياة، لدراسة إمكانية استخدام الحشرات والحيوانات في التنبيه عن قرب وقوع الزلازل. وقد تم رصد الحالات التي سجلت أثناء المتابعة فلم يثبت أن سجلت حالة واحدة لم يصدق فيها إنذار تلك الحيوانات عبر تصرفها الملحوظ قبل الكارثة، وبالفعل أقيمت أول مستعمرة من نوعها في التاريخ تضم العديد من الحيوانات والحشرات. والهدف الذي أنشئت من أجله هو دراسة تصرف هذه الحيوانات وردود أفعالها كإشارات لكوارث قريبة قادمة.

تقد بات اليابانيون بكون - بعد تعرض اليابان للعديد من الهزات الأرضية - أن تصرف "سلك الزينة" يعوق في هذا المجال أكثر آلات الرصد دقةً وقيل وقوع الزلازل بساعات يصاب هذا النوع من الأسماك بحالات غريبة من اضطراب في السلوك ودعر، ثم تأخذ بالنبوران والارتفاع داخل أحواضها ابتداءً جنوبياً. وكلما قرأت عن هذه الحقائق العلمية الواضحة وغيرها أطلت أفئدة فليما مسطرة كتب سلفنا الصالح حول هذا الأمر أو روده من أحاديث وملاحظات، ومن ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها حين قالت: "دخلت على عبوزان من غنم يهود المدينة، فقلتا لي: إن أهل القور يعبون في قبورهم. فكذبتهما ولم أنعم أن أصديقهما، خرجتا، ودخل عليّ النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن عبوزين....، وذكرت له الخبر، فقال: "صديقنا، إلهم يعبون غذاء تسمعه إلهام كلها"، فما رأته بعد في صلاة إلا يتعذر من عذاب القور (رواه البخاري).

وكم قرأنا عن حوادث عجيبة تحكي حول بعض الحيوانات عندما تتأخر بعض القبور التي يعذب أصحابها، فإما كما كان يشاهد من تصرفاتها قبل وقوع مثل هذه الكوارث البيئية.

### الملكوت دنت لصوت أسيد

وفي السياق ذاته نطالعنا حادثة صادرة من أعجب ما كتب في هذا الباب، وتحكي قصة اضطراب فرس عربي أصيل كان يملكه الصحابي الجليل أسيد بن الحضير ؓ. حدث ذلك ذات ليلة صافية من ليالي المدينة النبوية - حرسها الله - . لقد كان أسيد ؓ في تلك الليلة يقرأ القرآن خسارح بيته - كعادته - بصوت تدي خاشع، وكان يقربه الله الصغير يحيى نائماً، لكن العجيب في تلك الليلة بالذات أنه لاحظ تصرفاً غريباً للفرس، إذ كلما قرأ القرآن جالته فرسه وتحركت واضطربت، فإذا سكنت سكنت، ثم إذا أعاد القراءة اضطربت أشد من الأولى، وهكذا، حتى تكرر ذلك منه ومن الفرس ثلاث مرات. يقول ؓ: فأنصرفت عن القراءة مشفقاً على أبي يحيى أن تصيبه الفرس، فلما قرّنته مني رفعت رأسي إلى السماء فإذا أنا مثل الظلة البيضاء فيها أمثال المصابيح عرجت إلى السماء حتى تالوت عني. لقد اكتشف أن اقتراب تلك الظلة البيضاء بلا شك كان السبب في اضطراب الفرس وتحركها، فلما أخبر رسول الله ﷺ عما حدث له لبارحة قال له ؓ: "أو تدري ما ذاك؟" قال: لا، قال: "تلك الملكة دنت لصوتك" الحديث (رواه البخاري).

بل لقد صرح ؓ في حديث آخر أن لدى بعض الحيوانات مقدرة خارقة على رؤية ما لا يستطيع البشر رؤيته بحواسهم حيث قال ؓ: "إذا سمعتم أصوات الديكة فسلوا الله من فضله فإنها رأت منكساً، وإذا سمعتم هيق الحمير فتحذروا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطاناً" (رواه مسلم). إن هذه التصرفات بلا شك تنم عن وجود غرائز كامنة مرتبطة في هذه الحيوانات، وهي التي تدفعها إلى استشعار ما قد يعجز البشر عن إدراكه بحواسهم الطبيعية، ولقد تابعت آراء العلماء المتخصصين عند دراسة أمثال هذه السلوكيات والغرائز التي تنم عن قدرات "خارقة".

### سر عظيم من أسرار الوجود

هناك رأي مفاده أن هذا السلوك يعود إلى انقلابات في الحقل المغناطيسي، ووجود استجابة قوية عند بعض الحيوانات في هذا للحال. ولكن ثبت بالملاحظة والمتابعة المستمرة عدم استقرار هذا العامل كمعيار ثابت يمكن أن تفسر به سلوكيات بعض



هي ماهيتها، ومعالمها؟ أفليس من المنطق ومن الإنصاف أن ترى آثار قدرة الله تعالى تتجلى في سلوكيات هذه الكائنات التي خلقها فسوّاها وفقاً لقوانين وسنن خاصة لا تكاد تدرك من كتبها شيئاً؟ إنه الله القدير الذي تظهر آثار قدرته، ومعاً لم حكمته، ومظاهر رحمته من حولنا، إنه الله الذي خلق الكون وحفظه، وسخره لهذا المخلوق البشري الذي كرمه من بين سائر المخلوقات، أفليس هذا الجواب المريح إذن أوّلَى وأحرى هذا الإنسان الجاحد؟ إن ذلك هو ما توصل إليه كثير من العلماء المتخصصين في سلوكيات الكائنات الحية، ممن آمنوا بالله العظيم سبحانه من خلال هذا النظر المنحرد الذي يوقد شعلة الإيمان ويحرك كوامن القطرة في نفوسهم. إذا كان هذا الإيمان العميق بالله سبحانه يتولد في أعماق هؤلاء العلماء المادين من جزاء تتبع السلوك العجيب لهذا الطائر الصغير، بل من خلال دراسة سلوك واحد متواضع من سلوكياته ألا وهو طريقته في بناء عشه التي لا تكاد تختلف من طائر إلى آخر من النوع ذاته، بل قد يوجد هذا الطائر صغيراً من عشه، لا يدرك شيئاً مما يحيط به، ثم عندما يعزل تماماً عن كل المؤثرات البيئية المحيطة ويكرر بضع لنفسه عشاً على نمط نوعه تماماً! فسأى قدرة عليمه تكمن خلف تلك الغرائز الواعية؟! إذا كان هذا الإيمان العميق بالله الخالق العليم سبحانه يشرق في قلوبنا من خلال التأمل في هذا السلوك العجيب من هذا الطائر الصغير، فدعونا إذن نقوم بحركة إيجابية أكثر إثارة، تأمل فيها آثار قدرة ربنا سبحانه عبر النظر في سلوكيات الكائنات الحية من حولنا، عسى أن تنادب معه ونحن نقدر هذه الغرائز الحيوانية الواعية مرة أخرى.

### العنكبوت وأعمالها الهندسية

لقد زوّد الخالق الحكيم سبحانه هذه الكائنات بمثل تلك الغرائز بطريقة تبعث على الدهشة والإعجاب معاً، حين إنك تنتظر في تصرّف العنكبوت مثلاً وهو يقيم عملاً هندسياً بحار العقل في فهم خطواته، ثم تتعجب بعد ذلك من متانتها وحصونه بالرغم من رقة وحفته! إن هذه الحشرة الصغيرة تنسج خيطها بصورة تختلف كل مرة مع الوضع الذي تجد لنفسها فيه، ويوها مضبوطة

الحيوانات في ظروف مماثلة، كما حدث مثلاً داخل عربات قطار في محطة للشحن بإيطاليا؛ كانت هذه العربات مصنوعة من صفائح فولاذية رقيقة يوجد بداخلها حيوانات مختنعة، ومع ذلك لم يؤثر ذلك على مقنناتها بالرغم من كون المكان محكماً ومعزولاً ضد التقلبات المغناطيسية والموجات الكهرومائية.

ويرجع لبعض الآخر هذه الغريزة إلى قوة خارقة في حاسة السمع لدى هذه الحيوانات والحشرات، بحيث تسمع التحركات التي تسبق الزلزال في باطن الأرض، ويرجح البعض نظرية الحساسية المفرطة لدى هذه الحيوانات لمعرفة تغيير الذي يحدث على الصخور قبل الزلازل. بينما يقتض البعض ببساطة أن ينسب هذه التصرفات الذكية الخارقة إلى "الغريزة العمياء" وكثيراً ما يعلق -بعد سرد شواهد حية في الموضوع- بقوله:

"لاشك بأن هذه الغرائز عمياء، وهي قوى توجه

سلوك هذه الحيوانات!" وهذا يتطلب من

القارئ البصير وقفة متأملّة نافذة لـ

مثل هذا التفسير الذي يخلط

صاحبه لغروب من الحقائق

الثابتة بمثل هذا الكلام بدلاً من

التأمل فيها، وإدراك سر عظيم

من أسرار الوجود حوله تزيده

إيماناً وثباتاً. والدليل على ذلك

أن هذه السلوكيات الغريزية وأمثالها

غير قاصرة عند حد استئصال الرلازل

ونحوها من الكوارث البيئية فحسب، بل

تتجاوزها إلى سلوكيات أخرى فذة وغريبة لا

تصل البتة بالظروف البيئية أحياناً!

### لاعشوائية في الكون

أما دعوى "العشوائية" و"العمى" الذي لا هدف من وراءه، ولا محرك له في وصف هذه الغرائز، فإنها دعوى يردّها النظر البسيط في روعة مثل تلك التصرفات السلوكية التي تقوم بها تلك الكائنات، ولو تأمل فقط في طريقة بناء أطنان الصغير لعشه الرائع لتسائل طويلاً عن القوة المحركة لهذه الغريزة الواعية! فمن الذي علّم هذا الطير ذلك الفن الرفيع؟ وماذا تشابه جميع الأعشاش التي تبنيها طيور من هذا النوع؟ إذا قلت: إنها الغريزة -المحددة- فإن ذلك قد يُعدّ مخرجاً من السؤال، غير أنّها في الواقع تعدّ إجابة مرتبّة، ولكن قاصرة، فما هي هذه الغرائز؟ ومن محركها الحقيقي؟ وما

### إن جميع ما

### في الكون يشهد على

### وجود الله ﷻ ويدلّ على قدرته

### وعظمته، وعندما نقوم نحن العلماء

### بتحليل ظواهر هذا الكون ودراساتها، حتى

### باستخدام الطريقة "الاستدلالية"، فإننا لا

### نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله

### وعظمته..



وتحلي الحكمة والقدرة العظيمة - لكن موضح أكثر وبصورة مدهشة لا يدرك كمها العقل البشري القاصر في سلوك الصغار فيما بعده ذلك أن هذه الصغار - بعد أن تخرج من البيض - لا تمكث أي وسيلة لتعرف لها أي شيء من حولها سوى أن تعود أدراجها، وتسلق الطريق نفسه الذي جاءت منه أمهاتها، فتقوم في سبيل ذلك الثباتات القوية والأمواج العاتية للتلازمة وتقطع كل هذه المسافات الطويلة التي تعجز عن تحملها أحسامها الصغيرة، ثم تنوزع إلى كل أمر أو غيره أو بركة صغيرة في موطنها الأصلي؛ وهذا يظل كل جزء من الماء أهلاً لتعابن البحار! عن أودع فيها تلك الرغبة والعزيمة، ومن هذاها لسلوك هذا الطريق الطويل حتى تعود إلى بيتها الأصلي! إن العرائز "العمياء" بدافها تعجز عن هذا السلوك الباهر بلا ريب.

### التوقيت الزمني العجيب

ولك أن تتفكر في حبيسية أخرى تتميز بها تلك السلوكيات الغريبة لدى هذه الكائنات، ألا وهو "التوقيت الزمني" العجيب الذي يحكم سلوكياتها الرائعة، إنه أمر باهر حقا يدعو للنظر والتأمل؛ فلو نظرت إلى الطيور المهاجرة بأسرها الكثيرة لأدركت أن لها وقتا محددا من العام للطيران إلى وجهتها المحددة مسبقا إلى الشمال أو إلى الجنوب، وكل فرد منها عندما يحين ساعة الهجرة يتجه إلى سره، ثم تهاجر جميعا في يوم واحد يكاد أن يكون معينا كل سنة!

بل إن دقة هذا التوقيت وروعته تبدو حليا في حياة الحراد؛ وهو أمر أعجب بخار منه العقل في إدراك تلك الدقة المشاهدة التي تبدو لأول وهلة وكأنها ضرب من الخيال إلا لا يكاد موعدا عروج الصغار من البيض - بعد سنوات طويلة من الظلمة في حوف الأرض - يتقدم أو يتأخر.

وقد قرأت أنه وحيد في ولاية إلينوا الأمريكية - وبعد دراسة لموسم التكاثر عند الحراد - أن الحراد البالغ من العمر سبع عشرة سنة يعاود شقوقه تحت الأرض - حيث عاش في ظلام دامس مع تعبير طفيف في درجة الحرارة - ويظهر فجأة باللائين في شهر مايو من سنه السابعة عشرة، وقد يتخلف بعض النعثر عن رفاهه

بدقة مشاهية تأخذ بالأسباب، ذلك أنها تنقيد بالمسافات البينة، وتراعى الفراق الزوايا في شكل هندسي رائع عبر نسج من الحرير يبلغ قطره ثلاثة أعشار الميكرون (جزء من ألف من المليمتر)، وهو أدق وأرق وأحف وأمن من حرير دودة القز، ويخرج معازل العنكبوت التي فيها عدد كبير من الأنايب العازلة قد يصل في بعض العناكب إلى ألف أنبوب؟! ونظرا لأنه أدق حيث عرف في تاريخ البشرية فإنه يُعدّ حاليا للاستخدام في صنع الأجهزة البصرية وعيادتها حراحيها.

### الطيور المهاجرة

وتضرب لنا أسراب الطيور المهاجرة مثلا قريدا آخر لا يقل حجة وروعة عن ذكاء تلك العرائز التي ركبها الله تعالى في هذه الطيور؛ ذلك أنها تبدأ في هجرها الجماعية عندما تستشعر اقتراب موسم البرد - وخاصة طائر السنونو - فتبدأ هذه الطيور رحلتها الطويلة من البلاد الباردة إلى البلاد الحارة على هيئة أسراب جماعية تلتقي معا في السماء، وقد تقطع في غالب الأحيان نحو ألف ميل فوق عرض البحار، ولكنها مع ذلك لا تفصل طريقها أبدا مهما كانت قسوة الظروف الجوية، بل إن طائر السنونو يحركه شعور حتمي بضرورة هذه الهجرة، ويلزمه ذلك الشعور حتى عندما يُحس في مكان دافئ في موسم هجرته المعتاد، وكان هناك دافعا من الداخل يشعره باقتراب موسم البرد.

### هجرة تعابن الماء

وهناك لغز أعجب من هذا حير العلماء طويلا هو ما يتكرر سنويا مع تعابن الماء التي تسلك طريق هجرتها الضربيل عند اكتمال نموها واقتراب موسم التزاوج؛ ففراها في وقت محدد من العام تتجمع من مختلف العرث والأقطار لتهاجر معا قاطعة آلاف الأميال في المحيط قاصدة إلى الأعالي السحيقة، وهناك تبيض لم تموت؟! ولا يسزل هذا اللغز بدور في أذهان المهتمين هذه الظاهرة، إذ ما هو المحرك لها في سلوك هذا التصرف الغريب الذي يدفعها جميعا في وقت واحد لثبوت في مكان نام عن موطنها الأصلي، بعد أن تضع بيضها؟! ولم يعثر على جواب يقهر هذه الظاهرة حتى الآن.



—مطبعة الحال— ولكن الكثرة الساحقة تضيق بعد سنوات الظلام تلك، وتضبط موعد ظهورها باليوم تقريبا دون سابقة رصدها!

### صَراو الليل ودرجة الحرارة

ينقل المفعولهم إلى وفاههم بواسطة تالاس قرون الاستعمار! بينما في عالم الحبل عد لمة أخرى لكنها أعقد وأدق في التفاهم بين الأفراد داخل الخلية وخارجها، فإذا اكتشفت الخلية أثرًا متبيرة براحتها وأولها هسان لها طريقة أخرى للتصاحب ونقل الانفعالات غير النمل العادي، فهي ترشد بقية أفراد مملكتها عن طريق رقصات معينة تصدرها هذه الخلية يدرك مغزاهها ومدلولها باقي الخلية لأنها مزودة بمقدرة هائلة على فك الشفرات الحركية وإفراك معابها وأرقامها ووجهتها وما يتعلق بها، والتي يحتاج الإنسان إلى أن يصحح عنها بلغة الكلام في أسلوب هندسي أحيانًا كأن يقول لرفيقه —تلا:— "طر في غلط مستقيم، بالغراب عشرين درجة على يسار الشمس، وبعد مائتي متر ستجد مساحة من أزهار البرتقال".

ومعلوم أن الخلية مهما اتعدت عن حليتها فإن بإمكانها أن تعثر عليها مهما اشتدت الريح في هبوبها؛ ذلك أن الحبل لا يرى الأشياء كما نراها نحن فهو لا يجذب الأزهار الزاهية التي نراها، ولكنه يراها بالضوء فوق البنفسجي الذي يعاها أكثر حبالًا في نظره، ولهذا فقد يعيش الحبل في مناطق يكسوها السحاب معظم شهور السنة ولا يؤثر ذلك في عمله إطلاقًا.

### الاتصال بين أفراد البعوض والغراب

أما أسلوب الاتصال بين أفراد البعوض فيختلف نوعًا ما، لقد أكد العلماء الدارسون لحياة البعوض أن قرون الاستعمار الملتبقة على رأس كل بعوضة وللزودة بعدد هائل من التبتمرات البليقة المتتلة من رأس الذكر يمكنها التقاط الذنيدات الصورية التي تحدثها الأشياء من مسافات بعيدة، لتعرق في ذلك أدق الأجهزة

وليس هذا هو كل ما يتعلق بذلك التوقيت الدقيق الذي يُستَر تلك الغرائز، بل إن هناك سلوكيات متكررة قد لا تدرك بمجرد النظر العابر؛ بينما تكمن من ورائها معادلات ثائلة لا تتغير باستمرار، ولعل أروع مثال لذلك السلوك الغريزي يمثل في تصرف نوع من صَراو الليل الذي يصير عدة مرات في الدقيقة الواحدة لتختلف دائمًا باختلاف درجة الحرارة للبيئة! ولما أُصِبت مَرات صريها وبعد أن هناك سسرا مندها يكمن وراء ذلك الاختلاف في مَرات الصرير، ذلك أنها تسجل درجة الحرارة بالضبط مع غارق درجتين فقط! ومع تكرار للتابعة والرصد كانت النتيجة التي تم التوصل إليها ثائلة دائما على مدار ثمانية عشر يومًا! إنها قدرة الله تعالى تظهر لكل من تأمل وتفكر في الكون من حوله.

### الاتصال اللاسلكي بين الحيوانات والحشرات

وإذا حاولنا هذا السر العظيم من أسرار التوقيت الزمني لدى تلك الكائنات وتأملنا في طرائق الاتصال والالتقاء بين كثير من الحيوانات والحشرات لوجدنا نظامًا دقيقًا آخر يحكم تلك السلوكيات الغريزية التي لا تختلف بحال من الأحوال، ويعجز البشر عن مشاهدتها فصالًا عن وضعها وتحليلها.

إن أظهر لغة للتفاهم بين بي البشر —كما نعلم— هي لغة الكلام التي لا بد من تعلمها منذ الصغر ليسهل التفاهم ويحصل الاتصال الاجتماعي فيما بعد، ولكن هذه اللغة تختفي تمامًا عند عمر بي البشر من الحيوانات والحشرات المختلفة ليحل محلها لغات أخرى "خارقة" تساعد تلك الكائنات على التفاهم والتصاحب. وتختلف لغة التفاهم هذه باختلاف النوع والصف والطائفة في الأحساس الواحدة، فالنمل العادي مثلاً يقوم أفراد



# محاوَر البعد الأخرى فى فكر النورسى

أ.د. عبد المجيد النجار\*

٤

لا يمس كبر الناس للمعاطين يخلعون فى استعدادهم للقبول، لاحتلات ضابهم أو ثقافتهم أو أزماتهم، فىكون لكن مدخل يدخل منه اليقين، وتلك هى الداعية التى دعت النورسى إلى التنوع فى مسالك الاستدلال على عقيدة البعث، ومن أهم تلك المسالك بورد ما يلى:

## ١- مسلك الأنفس

استحالة للدعوة القرآنية التى توجه إلى أن تكون النفس الإنسانية منطلقا للاستدلال على حقائق العقيدة، فإن النورسى كان دائم الرجوع إلى هذه النفس للتأمل فيها، والتعقق فى أعوارها، ليرتد من مشاهدتها مقدمات استدلالية على حقيقة البعث، مستصفا فى ذلك بالبيانات القرآنية فى حقيقة النفس الإنسانية حياء، ومستصفا حياء بالكتشفات العلمية المسلحة فى علم النفس، ومستكشفا حياء نالنا أحوال النفس تحربة استطاع ذات، وهو فى كل ذلك يسلط مسلكا واحدا يتبعى فيه إثبات عقيدة البعث، وهو مسلك الأنا فى كما جاء فى التعبير القرآنى، وبما بناء من الأدلة فى سلوكه هذا المسلك ما يلى:

## أ- دليل الاستعدادات الإنسانية

إن المتأمل فى السمة النفسية للإنسان يجد أنه وإن كان هذا الكائن محدودا فى طاقاته وقدراته الحسية،

فطرة حب البقاء يقابلها أيضا امتداد الإنسان في البقاء في حياة أخرى بعد هذه الحياة، وأن في ذلك الامتداد تنسج الأرواح إلى السعادة الأبدية، وهو ما عبر عنه النورسي في قوله: "الفطرة التي لا تكذب أبدا والتي فيها ما فيها من ميل شديد قطعي لا يتزحزح إلى السعادة الأخروية الخالدة، تعطي للجسد حدسا قطعيا على تحقق الحياة الأخرى، والسعادة الأبدية"، وهو ما عبر عنه أيضا في موضع آخر بقوله: "إن دار الدنيا القصيرة هذه لا تكفي - كما أنها ليست طرفة- لإظهار ما لا يعد من الاستعدادات المشددة في روح الإنسان وإمارها، فلابد أن يرسل هذا الإنسان إلى عالم آخر. معه، إن جوهر الإنسان عظيم، لذا فهو رمز للأبدية وشرح لها". لقد كانت الأنفس مسلكتا للاستدلال على حقائق العقيدة عند علماء العقيدة، وهو ما تضمنته مؤلفاتهم عبر العصور، استجابة في ذلك للقرآن الكريم. ولكن الاستدلالات في هذا الخصوص كان معظمها يتعلق بالاستدلال على الأروحية، ولكن الاستدلال بالأنفس لإثبات المعاد لم يكن له رواج في التراث العقدي إلا أن تكون إشارات متناثرة واردة في سياقات مختلفة. أما النورسي فقد أورد الاستدلال بالأنفس على المعاد في مواضع عديدة من مؤلفاته، حتى غدا ذلك مسلكتا أساسيا من مسالك استدلاله على عقيدة الآخرة.

## ٢- مسلكت الآفاق

لعل هذا المسلك في الاستدلال على البعث هو أوسع المسالك التي دخل فيها النورسي ليست هذه العقيدة، وأبوجه المتعالمين إليها كي تكون مدخل اليقين بالآخرة إليهم. وبالإضافة إلى أدلة كثيرة بناها بصغة أساسية على مشاهد الآفاق، فإن أدلة كثيرة مما أدرجه ضمن مسالك أخرى كانت لها صلة على نحو أو آخر بآفاق الكون. وقد أفرج النورسي ضمن هذا المسار حملة كبيرة من الأدلة يذكر منها على سبيل التمثيل ما يلي:

### أ- دليل الإخبار الكوني

إنما يتم البعث بعد الحيار هذا النظام الكوني الذي عيا فيه الإنسان الحياة الدنيا، فهذا الإخبار هو إذن مقدمة من مقدمات الحياة الأخرى، أو هو جزء من أحزائها؛ ولذلك فإن الاستدلال على عقيدة الآخرة يتوقف بالضرورة على ثبوت أن هذا النظام الكوني أهل إلى الرواية، وإن لم يثبت ذلك أو ثبت عكسه فإن كل

إلا أنه في طاقاته واستعداداته الفلسفية عبر محدود، فهو يعمل من الأساليب والنسبورات ومن النبل والرغبات ومن القدرات والاستعدادات أقدارا عبر مشاهي، وفي ذلك يقول النورسي: "يرى العلماء للمحقق أن أفكار البشر وتصوراتهم الإنسانية التي لا تنبأ، المتولدة من آماله غير المشابهة، الحاصلة من ميوله التي لا تحيد، الماشقة من قابلياته عبر المحدودة، للدرجة في جوهر روحه كل منها محد أصابعها فتفسر وتحدي بصورها فتتوجه إلى عالم السعادة الأبدية وراء عالم الشهادة هذا". وما ذلك إلا لأن هذه الحياة الدنيا القصيرة المدي غير كافية لأن تتحقق فيها تلك النبل والآمال والرغبات، وغير كافية لأن تحيد فيها تلك القدرات والاستعدادات لتتخذ مطلقاها، إذ "جميع الدلائل الدني لا تشيع الخيال الذي هو أحد حدام الماهية الإنسانية". وإذا قد تبين بالدرس أن الكون كله خلق على غير إسرائ، فما من موجود كوني إلا وقدرت طاقاته بما يسوقها في حياته، وهذا القانون الكوني قانون "عدم الإسرائ" ثابت - حسب علم وظائف الأعضاء - في الفطرة جميعها ومنها الإنسان ليبرن نشأ أنه لا يمكن أن تدب هباء فيكون إسرائا جميع الاستعدادات المعوية والاستعدادات غير النهائية والأفكار والنبل، ولذلك فإن هذه الآمال والطاقات الإنسانية التي لا يمكن أن تتحقق في الحياة الدنيا لابد أنه قد هُيئ لها وجود آخر تتشكل فيه آمالها واستعداداتها متوافقا مع قانون عدم الإسرائ، وتلك هي الدار الآخرة التي تتحقق فيها كل آمال الإنسان وقدراته واستعداداته ورغباته.

### ب- دليل الشوق إلى الأبدية

في فطرة الإنسان حب شديد للبقاء، وشوق حار إلى السعادة الأبدية "حين إنه يترجم نوعا من البقاء في كل ما يهيم، بل لا يصب شيئا إلا بعد ترجمه البقاء فيه، ولولا تروهم البقاء لما أحب الإنسان شيئا". وكل فطرة إنسانية يقابلها واقع موجود؛ ففطرة الشوق والعطش يقابلها وجود الطعام والماء، وفطرة الخوف يقابلها وجود الأعداء، وفطرة المحبة يقابلها وجود من يُحِبُّه، ولو لم يكن الماء موجودا ما وجدت في الإنسان فطرة العطش، وكذلك الأمر في كل مكونات الفطرة الإنسانية. فهل يكون الأمر كذلك في كل مكونات هذه الفطرة، ويتخلل في فطرة حب البقاء وعشق الأبدية؟ إن الاستنتاج العقلي يقتضي بأن ذلك غير ممكن، وأنه إذا امتدت كل فطرة في الإنسان إلى ما يقابلها في الوجود، فإن



الاستدلالات على عقيدة الآخرة سوف لن يكون لها معنى. وإذا كانت نصوص الوحي غير بسان نظام الكون آيل إلى الفجار كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ \* وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ \* وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ (الكهف: 1-3)، فإن هذه النصوص لا تنفع إلا مؤمناً، أما غير المؤمنين فيحتاج إلى أدلة أخرى من العقل والعلمي أو من القوانين العلمية، وهو ما سعى فيه النورسي بيان أن الموجودات الكونية إذا نُظر إليها أفرافاً، وجد كل فرد منها مقطوعاً على عمر مقدر ينتهي بعده إلى زوال في نظامه الذي يكون عليه، فالكون في مجمله يكون كذلك أيضاً، وتلك هي بداية اليوم الآخر. لقد شرح النورسي هذا المعنى في قوله: "هناك [في الكون] نشوء وغماء، وإن النشوء والغماء هذا يعني أن له عمراً فطرياً في كل حالة، وإن العمر الفطري يعني أن له على كل حالة أجلاً فطرياً، وهذا يعني أن جميع الأشياء لا يمكن أن تدوم من الموت، وهذا ثابت بالاستقراء العام والنتيجة الواضح، نعم، فكما أن الإنسان هو عام مصغر لا خلاص له من الابهيار، كذلك العالم فإنه إنسان كبير لا فكاك له من قبضة الموت". وإذا كان هذا الابهيار الكوني لم يحدث بعد فإنه بالحساب العلمي فادام لا محالة، وذلك ما شرحه في قوله: "لئن لم يحدث للعالم قبل أسفله الفطري وبدايته إحدى عاداته منيرة أو مرض بخارجي، أو لم يخل نظامها خالقها الحكيم، فلا شك بحساب علمي أن سيان يوم يتردد فيه صدى ﴿وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، عندئذ تظهر معاني هذه الآيات وأسرارها".

**بـ دليل الاستمرار**

إذا كان البعث تستصعب تصوّره بعض العقول، فإن ذلك إنما هو بسبب ما يستصعبه العقل من استمرارية بقاء الإنسان حيناً بعد موته للشهود للعيان، وذلك من أجل أن يتم حسابه ثم جزاؤه، فهذه الاستمرارية في حقيقة الإنسان -التي سيتم في مرحلتها الثانية للحساب- بالرغم من زوال مظهرها هي التي كانت مناط الإنسكار من قبل أكثر المشركين للبعث؛ ولذلك فقد كرس

في فطرة  
الإنسان حب شديد  
للبقاء، وشوق جارف إلى  
السعادة الأبدية "حتى إنه يتوهم نوعاً  
من البقاء في كل ما يحبه، بل لا يحب  
شيئاً إلا بعد توهمه البقاء فيه...  
ولولا توهم البقاء لما أحب  
الإنسان شيئاً"

ووجودها يكون له بقاء. وليس نشر الأعمال للحساب في يوم آخر غير هذا اليوم الدنيوي بأمر مستعرب، إذ شواهد قائمة في هذه الحياة الدنياء، وهي شواهد دالة على إمكانه، فلم تأملت في هذا الكون فإنك سوف تجد تقانون الرواة نفسه أنه "لكل عمر ولكل عشب ولكل شجر أعمال، وله أفعال وله وظائف وله عودية وتسيجات بالشكل

الذي تظهر به الأسماء الإخفية الحسنى، فجميع هذه الأعمال مندرجة مع تاريخ حياته في مژذوره ونواه كلها، ومسطظهر جميعها في ربيع آخر ومكان آخر، أي إنه كما يذكر بفصاحة بالغة أعمال أمهاته وأصوله بالصورة والشكل الظاهر فإنه ينشر كذلك صحائف أعماله ينشر الأعصاب وتنفتح الأوراق والإثمار". وكذلك الأمر بالصلة للإنسان، فإنه وإن قد رالت صورته الظاهرة فيسكون له يوم تنشر فيه أعماله كما نشرت أعمال البسة بفعل بكرة القاء.

### ٣- هللك الإيمان بالله

أفصرنا سابقا إلى أن الوروسي كان منحه في الاستدلال على العقيدة هو منسج الرميل بن الأدلة على مفردا المختلفة؛ ولذلك فإننا نجد في الاستدلال على حقيقة البعت كثيرا ما يستمر أدلة قد تقرر في مفردات عقدية أخرى، وخاصة منها تلك الأدلة التي انتهت إلى إثبات عقيدة الألوهية، وبالأخص منها ما تعلق بإثبات الصفات الإلهية، فانطلاقا من تلك الأدلة وما انتهت إليه من إثباتات في شأن تلك الصفات يطلق لبناء أدلة تلت حقيقة البعت، وقد تكرر ذلك كثيرا في مؤلفاته، وتحصلت منه جملة من الأدلة نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

#### أ- دليل القدرة الإلهية

ومقتضاه أن كل من يؤمن بالله يتصف بصفة القدرة، فإن إمانه هذا من شأنه أن يقوم له مقام الدليل على إمكان البعت؛ ذلك لأن هذه القدرة التي تدرت آثارها حلبة في المخلوقات الكونية العظيمة فإن بعث الإنسان حيا لسانا وبهازي ثوبا أو عقابا سيكون داخل في مجال تلك القدرة، فثبت إذن إمكان هذا البعت لو قرع ما هو أعظم منه بفعل القدرة الإلهية.

وعلى سبيل المثال فإن قدرة الله تعالى خلقت الإنسان خلقا ابتدائيا، وهو الأمر للمسلم به، ودارت هذه القدرة تمكنها إعادة الإنسان بعد موته، بل ذلك أهون كما جاء في القرآن الكريم: ﴿كُنَّا نَدْعُهُ أَزْوَاجًا نَحْنُ مُعِيدُهُ﴾ (الأنبياء: ٢١)، "وحيث إنه ليست هناك مراتب قط في القدرة الإلهية الأزلية، لذا فالمقددرات هي حتما واحدة بالسبب إلى تلك القدرة، فيتساوى العظيم جدا مع للتناهي في الصغر، وتساوى النجوم مع الدرر، وحشر جميع البشر كبعت نفس واحدة، وكذا خلص الربيع كخلق زهرة واحدة سهل حين أمام تلك القدرة".

وإذا كانت هذه القدرة الإلهية في هذا العالم المتسهره تصنع النقيض من بغيته كما جاء في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَقَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَشْجَرِ نَارًا﴾ (يس: ٨٠)، فإنها يمكن أن تصنع من ملوت حياة فيكون البعت. وهذا المعنى يقول الوروسي للمعادنين لإقناعهم بإمكان البعت: "إنكم ترون إحياء واضطراب الأشجار الميتة، فكيف تستعدون اكتساب الطعام الشبيه بالخشب للحياة ولا تقيسون عليها؟". إن من يؤمن بقدرة الله إذن يترتب عليه أن يؤمن بإمكان بعث الأموات أحياء، كما يرى بشهادة الحواس أن القدرة الإلهية تحيي الإنسان ابتداء، وتخرج الحي من الميت والميت من الحي.

#### ب- دليل الحكمة والعدل

لقد خلق الله تعالى هذا الكون على أساس من العدل والحكمة، فكل شيء فيه قائم على حكمة، ومبني على توازن، وهي حكمة لا يشوبها خلل، وتوازن لا يداخله تفاوت، وهذا النظام البديع في الكون شاهد على ذلك، سواء في تركيب المجرودات أو في حركاتها أو في علاقاتها ببعضها، وما زالت العلوم الكونية تكشف عن ذلك يوما بعد يوم، حتى أصبح هذا الأمر أمرا مسلما من قبل جميع الناس، بل إن هذه المظاهر من الحكمة والعدل التي يقوم بها الوحد الكوني من أصغر المجرودات إلى أعظمها ما زالت يوما بعد يوم تجذب العلماء للتحقيق في أسرار الطبيعة إلى دائرة الإيمان بالله تعالى، وذلك من حلال الوقوف على مظاهر حكمته وعدله. ولكن بالسبب للإنسان الذي خلق على حرية في الاختيار وحُمل أمانة التكليف، فإننا نرى حياته تقتضي هذه الحرية لا يتحقق فيها العدل والحكمة، إذ كثيرا ما ترى ظالمين يجرمون يعيشون في الدنيا عيشة هينة ولا يلقون في حياتهم عقابا على ظلمهم، وأحرارهم، ونرى آخرين مظلومين وعسرين ولكنهم يعيشون حياة صعبة ويتعرضون لابتلاءات شديدة، ولا بدالون في مقابل إحسانهم جزاء ولا مقابل مظلوميهم عدلا، وذلك ما هو مُشاهد في الحياة الاجتماعية. ولو انتهى أمر الحياة على هذا النحو، فيذهب الظالم بظلمه دون عقاب ويذهب المحسن بإحسانه دون ثواب، لكان ذلك خرقا لما بُني عليه الكون من الحكمة والعدل، ولما كان الله تعالى متصفا هما، والخالق أن ألوهيته تقتضي الانصاف بهذه الصفات، فالإيمان بهذه الصفات يقتضي إذن أن تكون حياة الإنسان مبنية إلى مدى أبعد من هذا السدى الديوي، وهو مدى أخروي يتم فيه العقاب للظالم للعدي والتواب للمحسن المظلوم، وحيث يتم



الموازن والعدل وتحقق الحكمة.

لقد ردد النورسي هذه المعاني في مواقع متعددة، ومن ذلك قوله: "يظل الإنسان دون حواء في هذه الدنيا لما يرتكبه من وفائع الظلم وما يترقبه من إكبار وكهر وعصيان تجاه مولاه الذي أنعم عليه ورباه برأفة كاملة وشفقة تامة، مما ينافي بنظام الكون المنسق وبمحالف العدالة والموازنة الكاملة التي فيها وبمحالف جماله وحسنه، إذ يقتضي الظالم القاسي حياته براحة، بينما المظلوم البائس يقضيها شتظف من العيش، فلا شك أن ماهية تلك العدالة المطلقة التي يُستأد آثارها في الكائنات لا تقل أبدا ولا ترضى مطلقا بعدم بعث المظلومين العناة مع المظلومين السالسين الذين يتسارون معا أمام الموت"، وإذن فإن الإيمان بعدالة الله تعالى وحكمته يمكن أن يُستدل بها على ضرورة البعث في اليوم الآخر.

#### ٤- مسلك المنفعة

كنسرا ما كان القرآن الكريم يعرض العقيدة الإسلامية في سياق الدعوة إلى الإيمان بما عرضا استدلاليا ببيان ما تحقّقه تلك العقيدة للإنسان من نفع في حياته الدنيا قبل حياته الآخرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَلُّتُ قُلُوبُكُمْ﴾ (روعد: ٢٤)، وقرئ له تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ (نمل: ١٢٤)، ففي الآيتين دعوة إلى الإيمان بالله في سياق استدلاله ببيان ما يؤدي إليه ذلك الإيمان من منفعة لطمأنات القلوب، وما يؤدي إليه عدم الإيمان من شقاء المعيشة، ولا غرو فإن الدين كله -والعقيدة على رأسه- لم يكن إلا من أجل تحقيق النفع للإنسان.

وقد كان النورسي متفهما لهذا المنهج القرآني في استدلاله على الأحرار، إذ كتبوا ما كان يعرض هذه العقيدة لإقناع المحاطين في سياق الاستدلال عليها بما تحقّقه من نفع دنيوي، فالتأخذ إذن من المنفعة الحاصلة من الإيمان بالبعث دليلا على أن هذه العقيدة حدير بالإنسان أن يؤمن بها، وإذا كان هذا الضرب من الاستدلال يتجه إلى إقناع المحاطين بالإيمان بالبعث بما هو خارج عن حقيقته

الدائية وهو المنفعة التي تحصل منه، وليس بما هو متعلق ببلات تلك الحقيقة، فإنه استدلال مشروع، لأنه يقتضي إلى ذات النتيجة، إذ ما يتحقق به منفعة حقيقية للإنسان لا يمكن أن يكون إلا حقا في ذاته، فثبت إذن أحقيته الدائية من خلال ثابته، ولذلك فقد صاغ النورسي جملة من الأدلة على عقيدة البعث من خلال ما تُستقنه من منافع. ومن تلك الأدلة ما يلي:

#### أ- دليل المنفعة الفردية

يش النورسي في مقامات عديدة من مؤلفاته كيف أن الإيمان باليوم الآخر تترتب عليه منفعة نفسية بالغة الأهمية، وتبين منه للمؤمن مسعادة غامرة، وتكسيه صفات حميدة ترشد أداؤه فيما قُدر له من وظيفة تحلّل من أجلها، وكذلك تزول به أمراض كثيرة تغشى النفوس وتسبب لها آلاما قد تبلغ بها مبلغ اليأس والقنوط، بل قد تبلغ درجة السعي للحلّص من الحياة، أو تُحدث فيها قصورا وعاهات تعدد ها عن أداء المهام المطلوب من الإنسان أداؤها في حمل حياته أو في تصرفاته اليومية.

ومن ذلك على سبيل المثال أن "ما يلقى الإنسان دوما وبعض حياته هو تفكيره الدائم في مفسره وكيفية دحو له الفم، مثلما انتهى إليه مصر أحبته وأفكاره. فتوهّم الإنسان أن آلافا بل ملايين الملايين من إخوانه البشر يجهون إلى العدم بالموت تلك العراق الأبدية الذي لا لقاء بعده سياليته هذا التصور ألما شديدا (ولكن) حينما يؤمن بالأخرة فإن يكسب للروح عميقة تنسج بلذة الحياة، بما يشاهده من ناعة أحسنه وإصلاحهم جميعا من الموت النهائي والنعاء واليلى والاندثار، ومن مقاتهم خالدين في عالم الثور الأبدية متظيرين قدومه إليهم". إن عقيدة تحقّق هذه المنفعة العظيمة لا يمكن إلا أن تكون سقا حديرة بأن يؤمن بها الإنسان. وعلى سبيل المثال أيضا: فإن الإنسان في حريف العمر -وقد وهنت قواه وانقطع عطاؤه- قد يشيع فيه ذلك الشعور بأنه أصبح عالة على أهله ومجتمعهم، وبأن حياته قد استغلت أفراسها،

#### إن دار الدنيا

#### القصيرة هذه لا تكفي

#### كما أنها ليست ظرفا، لإظهار

#### ما لا يحد من الاستعدادات المندجة

#### في روح الإنسان وإثمارها، فلا بد أن يرسل

#### هذا الإنسان إلى عالم آخر. نعم، إن جوهر

#### الإنسان عظيم، لذا فهو رمز

#### للأبدية ومرشح لها.

وذلك ما من شأنه أن يجعله في حال من اليأس والقسوة والقلق النفسي البالغ، فطين عليه الدنيا بما رحبت، وتقلب الحياة إلى عذاب أليم، وليس من منقذ من ذلك سوى الإيمان باليوم الآخر الذي يجعله يشعر بأنه مقبل قريباً على مساعدة أبنية لقاء بالأخوة، وكلما تقدم به العمر اقترب من ذلك المصير السعيد، فترداد نفسه قوة بغدائها الأمل، ومساعدة بصعها التوق إلى المصير السعيد.

### من ثمرات الإيمان بالآخرة

وبما يتميز به الإيمان بالآخرة من منفعة مما يحدنه هذا الإيمان في النفس من الصبر وقوة الصلابة، إذ لما نصيب الإنسان للمصائب، فإن الإيمان بالآخرة هو الذي يقوي من عزمه، ويشد من أثره، إذ يعتقد أن ما أصابه يمكن أن يكون له دجراً في دار الخزاء، ولا يمكن بحال أن يذهب سدى، وفي هذا الصدد يقرب النورسي مثلاً بتجربته الشخصية فيما حصل له من مصائب تعرضه للنسب والفقر والإهانة والاعتداء على ممتلكاته وبالأخص منها مؤلفاته، ويقول في ذلك: "أحمل كل هذا الحزن والأسى بذلك الإيمان بالآخرة، رغم أنني ما كنت أحمّل أية إهانة وتحكم من أي أحد مهما كانت، إن نور الإيمان بالآخرة وقوته قد مسح صبرا وجدلاً وعزاء وتسليّة وصلابة وشفقة للفرز شواب جهاد عظيم"، ومثل هذا يحصل بالنسبة لكل مكروب وكل مضطهد ومظلوم وكل مصاب بإحدى مصائب الدنيا، فهو لا يجمعها "ما إن يمدحهم الإيمان بالآخرة بالبراء والسلوان إلا وينشرون فوراً ويتنصسون الصعاب لما يزيل عنهم من الضيق واليأس والقلق والاضطراب".

### بـ دليل المنفعة الاجتماعية

إن أول ما يتميز به الإيمان بالمعاد من منفعة اجتماعية هو ما يمثل في ترشيد العلاقات الأسرية، فهذه العلاقات كثيراً ما تتعرض إلى ثورات شديدة بسبب التنافس على المكاسب الدنيوية، وريعية كل طرف في الاستئثار بالمنافع على حساب الأطراف الأخرى، وذلك ولقع مشهود عمر الزمن، فإذا ما امتدح أفراد الأسرة بنور الإيمان بالمعاد وانساب فإن ذلك ما إن يمل بالبيت الأسري "حين يبور أرحامه مباشرة ويستقيء؛ لأن علاقة القرى والرافة واللحمة التي تربطهم لا تقاس عندئذ خسر زمن قصير جداً، بل تقاس على وفق علاقات تمتد إلى خلودهم ونفائهم في دار الآخرة والمساعدة الأبدية، فيقوم عندئذ كل فرد باحترام خالص تجاه الآخرين". وعلى نفس هذا النحو يفعل الإيمان بالآخرة فعلة في العلاقات الاجتماعية العامة، سواء تلك العلاقات بين أبناء المدينة الواحدة،

أو العلاقات بين أبناء البلد بأكمله، أو العلاقات بين الإنسانية جمعاء، "فإن كل مدينة هي بحد ذاتها بيت واسع لسكنائها، فإن لم يكن الإيمان بالآخرة مسيطراً على أفراد هذه العائلة الكبيرة، فيستولي عليهم الحقد والمنافع الشخصية والاحتيايل والأناية والتكلف والرياء والريضة والجداع بدلاً من أسس الأخلاق الحميدة التي هي الإخلاص والبروة والفضيلة واللحمة والنضحية". والبلاد بأكملها ليست إلا بيتاً واسعاً جداً، والوطن بأكمله هو بيت عائلة الأمة، فإذا ما شاع فيها الإيمان بالآخرة، فإن ذلك الإيمان سيفعل فعلة الذي فعلة في العلاقات الأسرية، ولا طعت الأناية التي تزن الأحياء بميزان دنيوي قصير، فتكون معنى الإرهاب والفرقى والوحشية حاكمية ومسيطرة تحت اسم النظام والأمن والإنسانية، وحينئذ تنقسم الحياة الاجتماعية، فينصف الأطفال بالرفقة والإحسان، والشباب بالسكّر والعريضة، والأهواء بالظلم والتجاوز، وتصبح حياة الجماعة حياة مضطربة بارقة، ولو وُزنت الأشياء بميزان أخروي طويل لكان لهذه العلاقات الاجتماعية شأن آخر من الاستقرار والإحمار.

ولا شك أن هذا المنهج الذي ارتأه النورسي في الاستدلال يستوجب على الدارس من العدل ما يجعله لا يقتصر في التقييم على القياس بمقاييس العقل المحسود الضارم في موازينه المنطقية، إذ هو قد وسع الاستدلال ليشمل مناطق القوي الروحية أيضاً، وإلا فإما قد نجد في استدلالات النورسي ما يستحق التعقيب والمراجعة، وكفى هذا المنهج حكمة أن يجد فيه كل مسلم طلبته مهما كان حظه من العلوم العقلية والمنطقية، وليس الأمر كذلك في الكثير إن لم يكن في الأكثر بما ألف في العقائد الإسلامية. ■

(١٠) الأمين العام لمجلس الإنماء الأوروبي - باريس / فرنسا.

#### المصادر

- (١) الكلمات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، دار سورر للبشر، القاهرة.
- (٢) المكتوبات، بديع الزمان سعيد النورسي، ت: إحسان قاسم الصالح، دار سورر للبشر، القاهرة.
- (٣) المساعادات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، دار سورر للبشر، القاهرة.
- (٤) السمعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، دار سورر للبشر، القاهرة.
- (٥) عد للمعيد عمر البشار، دار الغرب الإسلامي الإيمان بالله وأثره في الحياة، ١٩٩٧.
- (٦) العلم يدهو للإيمان - مجموعة من المؤلفين، دار الكتاب العربي.

# بصمات عثمانية على الأقصر الشريف

أحمد مروان\*



وسماها الإسرائيليون أيضا "مهيرن" نسبة لخليل في فلسطين، وقد غلب على المدينة اسم "القدس".

## الدور التمهيدي في العمارة العثمانية

وقسم العلماء تاريخ العمارة الإسلامية العثمانية إلى أدوار واخوة للعمالم أعقبت الدور التمهيدى. أما الدور التمهيدى فوعم الفترة الزمنية السابقة على أيام السلطان "أورخان" الذي تسلطن (١٣٢٥م). ويشمل الدور التمهيدى للشقات التي أسسها الأمير "أرمغرل من سليمان شاه" (١١٩٨-١٢٨١)، حيث امتدت في زمنه رفعة الإمارة العثمانية بالفتوحات من مدينة "أسكيشهر" إلى "كوتاهيا". وبعد وفاته حكم الإمارة ابنه عثمان الأول (١٣٥٨-١٣٢٦)، حيث اتخذ من للمدينة الجديدة "يبي شهر" عاصمة

القدس، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة. مسرح السنوات وزهرة المدن وموضع أنظار البشر منذ أقدم العصور.

تاريخ بناء القدس يعود إلى اسم بانها وهو إيلياء بن أرم من ساسم من موح القوي - إيلياء أحد أسماء القدس - وقيل إن "ملك صادق" أحد ملوك البيوسين - وهم أشهر قبائل الكنعانيين - أول من احط وبن مدينة القدس وذلك سنة (٣٠٠ ق.م) والتي سميت بـ "سوس". وقد عرف "ملك صادق" بالقوى وحب السلام حتى أطلق عليه "ملك السلام"، ومن هنا جاء اسم مدينة "سالم" أو "شالم" أو "أور شالم" تعنى دح شالم بقرس، أو مدينة سالم. والتالي فإن أورشليم كان اسماً معروفاً وموجوداً قبل أي يغتصب الإسرائيليون هذه المدينة من أيدي أصحابها البيوسين.



حقق السلطان أورخان انتصاراته في آسيا، قرر التوجه غرباً نحو أوروبا لمقاومة الفترحات، ونشر الحضارة الإسلامية بكل ما فيها من حسنات تحقق المصالح الإنسانية وتدفع للمفاسد، حيث حقق آماله بفتح مدن البلقنة العربية لمُضيق الدردنيل الذي يصل بين بحر مرمرة شمالاً وبحر إيجة جنوباً.

#### القدس في ظل الدولة العثمانية

أسدى العثمانيون عناية فائقة بتطوير مدينة القدس، ابتداء بالتعميرات الضخمة التي أنجزها السلطان سليمان القانوني وانتهاء بالمباني التي شُيّدت في عصر السلطان عبد الحميد الثاني. ورغم محاولات بعض المؤرخين طمس هذه الحقيقة فإن تلك المنشآت ما زالت قائمة حتى اليوم.

إن أقدم معلم تاريخي في القدس الشريف هو أسوار المدينة التاريخية التي تم ماؤها من قبل السلطان سليمان القانوني عام

للدولة العثمانية. وتطورت العمارة الإسلامية العثمانية في "عين شهر"، ثم مرّت بأدوار عدة فشكّل عهد أرطغرل وخليفته عثمان الأول مرحلة الدور المعماري العثماني المهيدي الذي استمر حتى نهاية عهد عثمان الأول.

وبعد وفاة السلطان عثمان الأول خلفه ولده السلطان "أورخان". فبدأ دور معماري جديد، فتطورت العمارة الإسلامية العثمانية حين فُتحت مدينة "بورصة"، فالتجّدها السلطان أورخان عاصمة للدولة العثمانية بعد العاصمة الأولى في مدينة "عين شهر". ثم فتح السلطان أورخان مدينة "إزنيك" المسماة "نيقية المقدسة" عند الروم. واستطاع السيطرة على سواحل البحر الأسود وبحر مرمرة ومع امتداد السلطة العثمانية إلى لندن المفتوحة اتسع نطاق العمارة الإسلامية، وازدهرت فروعها، وأصبحت مدينة بورصة عموماً راعياً للمدينة الإسلامية بكل مكوناتها المتطورة. وعندما



(١٥٢٦م)، وبنيها الأوقاف والمؤسسات الخيرية التي سبقت في أماكن مختلفة من القدس وأمرها الوقف الخيري "خاصكي سلطان" أو "التكية". وهي من أعظم المؤسسات الخيرية في القدس والتي قامت بإنسانتها زوجة السلطان سليمان القانوني. والتكية تقدم الطعام للفقراء والفقراء في القدس والمحتاجين إلى يومنا هذا. حيث تقع على طريق الولاء وفي الزقاق الممتد بين حان الزيت وعقبة التكية حيث تكية خاصكي سلطان كما عرّفها أهالي فلسطين والقدس من مئات السنين.

في أول شهر كانون الأول من عام (١٥١٧م) وصل السلطان العثماني سليم الأول أسوار القدس ولم تكن هناك مقاومة، وخرج العلماء للقاء السلطان وأهدوه مئانج الأفضى وبقية الصخرة، فقرر السلطان سليم من على فرسه ومسجد سحدين ثم قال: "الحمد لله الذي جعلني حادما غرم أولي القلائد".

وتعتبر فترة السلطان سليمان القانوني بطل السلطان سليم الأول، الفترة الذهبية بالنسبة لأسوار القدس، حيث أمر هذا السلطان بإعادة بناء أسوار المدينة من جديد. وكانت تلك خطة طموحة استلزمت مهارة عالية ومقات باهظة. ولم يبق العثمانيون بناء استحكامات معقدة كذلك سوى في أماكن قليلة أخرى. ويبلغ طول السور الذي ما زال موحدا إلى الآن ميلين يارتفع قرابة أربعين قدما. وأحاط المدينة إحاطة تامة وكان به أربعة وثلاثون برجا وسبع بوابات. وحينما انتهى بناء السور عام (١٥٤١م) أصبحت القدس محصنة لأول مرة مد أكثر من ثلاثمائة عام.

وأنفق سليمان القانوني أيضا مبالغ كبيرة في نظام المياه بالمدينة حيث سبست ناهورات جميلة وضقت القنوات والبحيرات، وتم تجديد بحيرة السلطان جنوب غربي المدينة وأصلحت قنواتها. وشهدت المدينة ازدهارا جديدا حيث تم تطوير الأسواق وتوسيعها.

وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر تم تحويل القدس لإدريس إلى متصرفية وصمت إليها "مجلس" و"عزة"، لزيادة عدد سكانها ولأهميتها الدينية. وكانت سلطة قاضي القدس ذات مدى متسع يشمل المناطق من غزة إلى حيفا.

لم يهمل السلطان سليمان الحرم فزعمه بالفيسياء خاصة الحجرة الأعلى من الحائط الخارجي لتكية الصخرة وغلف الحجرة الأسفل بالرخام. وهدمت تعبية قبة السلسلة برحارف جميلة. كما بنى سليمان القانوني نافورة بدعته للفصوة في الفضاء الأمامي

للمسجد الأقصى وكما أبدى بناء أوقاف الحرم وبعض المدارس. وتنازل السلطان عن حقه في رسوم دخول الحجاج لصالح تمويل قراءة القرآن في قبة الصخرة لمدة عام واحد. وأصبحت الأوقاف التي تم إصلاحها مصدر عمل ودخل للأعمال الخيرية. وأنشأت زوجة السلطان القانوني تكية في القدس عام (١٥٥١م)، وجمعا كبيرا يشمل مسجدا ورياضا ومدرسة ونحالا ومطبخا تقدم خلاله العلم والتصوفيين والفقراء ويقدم لهم وجبات طعام مجانية. وقد شملت أوقاف التكية عدة فري حتى وصلت منطقة رام الله.

فقد تم إعادة ترميم قبة الصخرة في عهد السلطان محمد الثالث والسلطان أحمد الأول والسلطان مصطفى الأول. وأصدر السلطان فرمانات عديدة خاصة بالأماكن المقدسة. وكان المشاؤون ملزمين بحفظ النظام في منطقة الحرم والتأكد من سلامة الأماكن الدينية ونظافتها. وكانت الوقف تستغل في عائدات أعمال الصيانة وكانت الحكومة أيضا على استعداد لاقتسام النفقات إذا استدعى الأمر. وظلت المدينة في القرن السابع عشر تستحوذ على الإعجاب. وساد الأمن والسلام في كل أرجاء بلاد القدس الشريف. وقد زار الرحالة التركي "أوليا حلي" القدس

العمارة الإسلامية في القدس هي امتدادٌ للعمارة الإسلامية العثمانية، والعمارة العثمانية حلقة مهمة من حلقات العمارة الإسلامية عموماً. نشأت العمارة الإسلامية -زمنياً- مع الهجرة النبوية وناه المسجد النبوي في المدينة المنورة، وتمتد حتى العصر الراهن، كما أن للعمارة الإسلامية امتداداً جغرافياً واسعاً يمتد من بلاد المايور والبعال وتاييلاند والميليش شرقاً إلى الأندلس غرباً وهذا الامتداد قدم.

وفي العصر الراهن تنتشر المنشآت الإسلامية في كافة أنحاء المعمورة. ولكن وجود بعض المنشآت لا يتم عن هوية إسلامية ما لم ترافقها العادات والأدواق والثقافات الإسلامية. بدأ نشوء المدد الإسلامية ببناء المسجد وما يحيط به من مساكن ومنشآت؛ كالكثلة ومسيل المساء والحياتم والتناظر والجسور والمدارس والبيمارستانات والخانات والأسواق.

أصبحت للمدينة الإسلامية عميرة للعالم، واسعة المروية بعد المحرة السوية، ثم تكاملت في عهود الخلفاء الراشدين، وازدهرت العمارة الإسلامية في عهد الأمويين حيث استفاد المسلمون من التطور العمراني الروماني البيزنطي، وبجلى ذلك الترح بين الفن للعماري الإسلامي والفن المعماري البيزنطي في الجامع الأموي بمدينة دمشق، والجامع الأموي بمدينة حلب، وفي الصحرة والمسجد الأقصى في القدس. ثم تطورت الفنون المعمارية الإسلامية في عهد العباسيين حيث انتشرت المدارس النظامية التي شيدها الوزير نظام الملك السلجوقي، ثم شيدت المدرسة المستنصرية في بغداد في بداية القرن السابع الهجري، فبلغت بعداً آنذاك درجة رفيعة معبرة عن تنوعات العاصمة الإسلامية التي استفادت من المؤثرات المعمارية البيزنطية والسامانية والسلجوقية والمغربية. وبعد ذلك انتقلت عاصمة الخلافة العباسية إلى القاهرة

التي أصبحت رمز العاصمة الإسلامية، واستمرت على تلك الحال حتى فتحها السلطان سليم الأول وغلب عاصمة الخلافة الإسلامية إلى مدينة إسطنبول سنة (١٥١٧م). تطورت في العمارة الإسلامية العثمانية حيث جمع بين فنون العمارة الإفريقية والآسيوية والأوروبية، وتطورت العمارة الإسلامية العثمانية في شكل متلاحم مع تطور الدولة العثمانية واتسع نطاقها مع اتساع رقعة الدولة العثمانية. ■

عام (١٦٤٨م) ووجد -كما قال- أن هناك تماثلة إمام وواعظ يعملون في الحرم والمدارس والمحاور ويقاضون مراتب، وكان هناك أيضاً جسون مودنا وعدد كبير من مرتلي القرآن الكريم، كما وجد أن الزائرين المسلمين ما زالوا يسرون مواكبهم حول الحرم يؤدون الصلاة في المواقع المختلفة. وقال إن أروقة الحرم امتلكت بالبراونيتي من الهند وفارس وآسيا الصغرى، حيث كانوا يرتلون القرآن طوال الليل ويقعدون حلقات الذكر ويتعبدون بأسماء الله الحسنى على ضوء مصابيح الزيت الواجهة المتواحدة على طول الممرات ذات الأعمدة. وبعد صلاة الفجر كانت تعقد حلقات الذكر مرة أخرى في مسجد المغاربة في الركن الجنوبي الغربي من الحرم. وكان هناك جسمانية جندي تحت إمرة باشا القدس وكانت أهم مهامهم الرئيسية مرافقة قافلة الحج الداعية من دمشق إلى مكة المكرمة كل عام.



وقد نصّت الدولة العثمانية على القدس حكماً من أعلاها بما زاد في الاهتمام بتعميرها وترميم ما تلف من مساجدها وخاصة للمسجد الأقصى وقد تم تعيين أربعة معينين. وعاقضت القدس في العهد العثماني على مكائنها المرفقة وطلت مركز جذب للشتوفين والعلماء. والخبر بالذكر أنه كان عدد العلماء في المدينة في القرن الثامن عشر أكثر من عدهم في القرن السابع عشر كما لفت بعض العلماء مكائنها خاصة مهمة.

## القدس وفن العمارة الإسلامية

١١ باحث وكتب متخصص بالتاريخ العثماني / فلسطين



في الأسفار، وبين المجاريب، قَتَسَ عن رجال الطريق... هؤلاء لا  
يخذلون، ولا ينكصون... وإذا ما توغرت الطريق وطالت واستوحشت،  
فهم المؤنسون المساندون، وعنك يذودون، ومعك كل صعب يقهرون...  
\*\*\*

## أمام الفروسية الإسلامية

✽ أ. د. محمد عبادة ✽

ف

في مكة ظهر الإسلام سنة ١٢ ق. هـ -  
سنة ٦١٠ م. ولأنه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي  
الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦) فلقد كان المسلمون

- دائما - يتركون لمن عداهم حق من الشرع - فضلا عن  
الكسب - حرية الاختيار، ويعطون لرسول الله ﷺ: ﴿لَكُمْ  
دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (المائدة: ٦٠)، ﴿مَنْ شَاءَ فَلْيُزِمْنِ وَمَنْ شَاءَ  
فَلْيُكْفِرْ﴾ (البقرة: ٢١٦) لأن الإكراه يفسد "تلقا" لا "إيمانا"!  
ومع هذا، فعلى امتداد ثلاثة عشر عاما - هي عمر  
الدعوة النبوية بحكمة - سب المشركون الوشويين، بقيادة ملا  
فريش وصناديد الشرك فيها، كل أنواع العذاب، على الذين  
اعتدوا إلى الإسلام، وحاسة المستضعفين والفقراء والأرامل.

ولقد عزل للمشركون القلة التي آمنت - مع أهلهم -  
وحاصروهم في "حصب بني هاشم"، وقاطعوا اقتصاديا  
 واجتماعيا حتى أضرهم على الحلال، فاضطر عدد من المسلمين  
 إلى الهجرة - مرتين - إلى الحبشة، خلال تلك السنوات، فوارا  
 بدينهم وأنفسهم من الاضطهاد والتعذيب.

ولقد تصاعد الحصار للدعوة، وزاد الاضطهاد للمؤمنين  
 بها، حتى دُعيت القلة المؤمنة دفعا إلى الخروج من ديارهم  
 مكة.. فأقبلوا يتسللون إلى المدينة المنورة (يقرب) بعد  
 أن اعتسدى بنو من أهلها (الأنصار) إلى دين الإسلام.  
 وعندما قرر ملا فريش، وصناديد الشرك فيها توجيه الضربة  
 القاصمة إلى رسول الإسلام وإمام دعوة التوحيد محمد بن  
 عبد الله ﷺ... وأخذوا في المكر والتآمر... وبغلب الخيارات:  
 أبقوا منه؟ أم يحبسونه؟ أم يخرجونه من مكة؟ ﴿وَأَزِيدُ نَشْرَكَ  
 رِبَّكَ الْبَينَ كَقَرَّبُوا إِلَهَ بَنِيكَ أَوْ يُقَاتِلُوا أَوْ يَخْرُجُوا وَهُمْ مُجْرِمُونَ  
 وَنَحْنُ اللَّهُ وَأَنَّهُ خَيْرَ الْفَائِزِينَ﴾ (البقرة: ١٣٠) أفان الله ﷻ ليسه









## الأبعاد الإنسانية في الأعمال الخيرية

أ.د. إبراهيم البيومي غانم

١

الخيري في إطار النظرية العامة للمقاصد الشرعية. هنا نقدم محاولة لبيان مقاصد العمل الخيري التي تنقله إلى حيز التطبيق العملي، بعد أن أوضحنا في المقال السابق محلها الغراء "حراء" كيف أن العمل الخيري مقصد عام وثابت من المقاصد العامة للشرعية.

### مقاصد الخير الإسلامي

للعمل الخيري الإسلامي أربعة مقاصد هي: الحرية، والتصديق، والسلام الأهلي، وحاربة الفقر. وإليك فيما يلي بعض التفاصيل لكل مقصد من المقاصد الخمسة للعمل الخيري التي اجتهدنا في استنباطها، ويان صلة كل منها بالعمل الخيري ذاته باعتباره

أهم ما يميز العمل الخيري الإسلامي هو أنه "إنسان" يترجمه إلى جميع بني آدم ليسهم في تحقيق معنى عالمية الرسالة الإسلامية، ويبرهن بالفعل - وليس بالقول فقط - على أن حاتم الأنبياء محمد ﷺ أرسله الله "رحمة للعالمين"، ولهذا فإن العمل الخيري الإسلامي مقصد عام وثابت من مقاصد الشريعة، وأعلى مراحلها هي العائليّة التي هي أيضاً أعلى مراحل تحقيق المقاصد العامة للشرعية.

هناك رؤى تتنزل العمل الخيري الإسلامي في صيغة مساعدات إنسانية، وتقتصر على فئة من الناس دون غيرها. ولكن هذه الرؤى غير صحيحة، والصحيح هو ما توضحه مقاصد العمل



مقصدا عاما، وبأن صلة العمل الخيري بمقاصده هو ذاته.

## ٦- مقصد الحرية

هو أول مقاصد العمل الخيري الإسلامي وأعلاها منزلة. ففي مقدمة الأهداف التي توجه إليها العمل الخيري أن يسهم في "تحرير" النفس الإنسانية من الأغلال التي قد تكبلها سبب أو لآخر، وتوق حركتها، وتغتر طاقاتها. بعض هذه القيود معوي ينتج عن ارتكاب الذنوب والآثام، وبعضها مادي ينتج عن حب المال وتمكن شهوة التملك من الإنسان، وبعضها سياسي ينتج عن الحروب وصراعات القوة. وبشيعة تلك الأسباب فإن بعض بني آدم تقضي عليهم الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يعيشونها أن تكون حريتهم مقيدة معنويا ومنهم العصاة والمذنبون، أو مقيدة ماديا، ومن هؤلاء الرقيق والعقراء واليتامى والمساكين والأسرى والجهلة والمرضى والمذنبون؛ وفي جميع هذه الحالات يجب شرعا للمساعدة في تحريرهم ورفع الإصر عنهم وتحطيم الأغلال التي وضعت عليهم؛ كي يكونوا عملا صحيحا للإيمان، وكي يكونوا قادرين على استيفاء التكاليف الشرعية وأدائها كما يريد الله ﷻ، لأن غير الحر يكون غير قادر قدرة الحر على إقامة التكاليف الشرعية - أو هو ليس مثله علي الأقل - ولذا يريد الإسلام أن يكون الإنسان حرا أولاً، ثم يخاطبه بالأحكام الشرعية ويكلفها.

ولسائل أن يسأل: كيف يكون مقصد الحرية من مقاصد العمل الخيري؟ وكيف يسهم العمل الخيري في تحقيق هذا المقصد؟ وجيب فقول: دلت آيات القرآن الكريم على أن من أعظم القربات تحرير الأرقاء، ومن ذلك ما جاء نص عليه في سورة البلد وعبرت عنه بـ"فك رقبة". ولسماع قصر معنى فك الرقبة على "تحرير الرقيق" أو "عتق العبيد والإماء" كما ذهب أغلب المفسرين، فسورة البلد مكية، ومن الأهداف العامة للسور المكية أنها تهدف لاستيفاء العقيدة الجسدية، ونقي النورس كي تثبت فيها هذه العقيدة على صفة نقية. وضمن هذه الغاية نعت آيات السورة على بعض كفار مكة الذين أنفقوا أموالهم الكثيرة للمباهمة والمفاخرة ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ (البلد:٥)، فلما منهم أن يجرد إيفاق المال الوفير بضمن هم الفوز والتمتع. ولكن لما لم يكن هذا الاتفاق متضمنا "فك الرقاب" تحاب سعيهم. وعبر القرآن عن هكذا إنفاق بـ"الإهلاك" إظهارا لعدم الاكتراث، والنتيجة أن من أنفق ماله دون أن ينقص جردا منه للمساهمة في فك الرقاب، أي تحريرها، فلن يكون من الناجحين.

يقول الإمام محمد عبده في تفسيره: "ورد في فضل العتق ما بلغ معناه حد التواتر، فضلا عما ورد في الكتاب، وهو يرشد إلى ميل الإسلام إلى الحرية، وحفوة للأسر والعبودية".

## فك الرقبة بالمعنى الشامل

ونضيف إلى ما سبق أن عموم دلالة "فك الرقبة" لا يقتصر على تحريرها من أسر العبودية والرق بالمعنى الاصطلاحي الذي قصده أغلب المفسرين والفقهاء - وكان أكثر الرق قلنا سبب الحروب - وإنما يشمل أيضا فك الرقبة من كل ما يقيد بها، فكها من قيد الجهل؛ فالجهل يقيد حرية الإنسان، كما يقيد الرق حريته. وفك الرقبة يكون أيضا من قيد المرض؛ فالمرض يقيد على حرية الإنسان وحركه، وقد يبعده أو يمتعه من الاستمتاع بكثير من الحريات التي لا تكتمل إنسانية الإنسان إلا بها. ويكون فك الرقبة من قيد الدين؛ فالدينون تقيد الحرية أيضا وتستلذ المدين. وأخيرا وليس آخرا: يكون فك الرقبة من قيود الاستبداد التي تمارسها السلطات الطاغية؛ سواء كانت سلطة التقاليد والآباء الأولين أو الحكام المتحيزين أو الخرافات والأوهام والأساطير؛ التي تستلذ الكثير وتسترقل الصغير. وتلك هي أهم الحالات الاجتماعية التي يكون بعض بني الإنسان عرضة لها في كل زمان ومكان. وقد صفت آيات سورة البلد الأعمال التي تستهدف فك الرقاب ضمن "أعمال الخير" الطوعية التي يقوم بها الإنسان باختياره وفطرته، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَهَذِهِ أَسْمَاءُ الَّذِينَ﴾ (البلد:١٠) أي طريق الخير الذي يشمل مثل الأعمال المذكورة، وطريق الشر للقابل لذلك. ولما كان الإسلام متشوقا إلى الحرية، فقد جعل للمساهمة في "فك الرقبة" بالمعنى الواسع الذي ذكرناه من أفضل الأعمال الخيرية الطوعية؛ ولهذا أكثر المسلمون على مر التاريخ من بذل الصدقات، وتخصيص قسم معتبر من ريع الأوقاف للإتفاق على التعليم والعلاج وعتق الرقيق وإغناء الأسرى من يد الأعداء حتى لا يصبوا رقيقا، ومساعدة أصحاب المعارك والديون. ولحمدا في آراء واحتجادات علماء السلف الكبار من أمثال الإمام أبي حنيفة ما يدل على إدراكهم العميق للحرية باعتبارها جوهر الرسالة الإسلامية إلى الإنسانية كلها؛ فمن غير الجائر عند أبي حنيفة - مثلا - الحر على السفيه، والحر نوع من أنواع تقييد حرية الإنسان في التصرف. ويعمل أبو حنيفة ذلك بأن الحر إهدار لأمية هذا السفيه؛ ويقول: إن الحجر عليه "إلحاق له باليهائم"، والضرر الإنساني الذي يترتب نتيجة الحر عليه



أكثر بكثير من الضرر الذي يترتب على سوء تصرفه في أمواله، ولا يجوز دفع الضرر الأقل بضرر أكبر منه.

## ٢- مقصد الصلدين وعمارة الأرض

يسهم العمل الخيري في تحقيق حرجة أرقى من التمدن الإنساني ورفع كفاءة المجتمعات في إعمار الأرض. ويأخذ إسهام العمل الخيري في تمدين المجتمعات صورا متعددة: منها ما هو مادي في شكل تبرعات ومساعدات تعين غير القادرين على تحسين مستوى معيشتهم، ولا تتركهم هباءا للمرض أو للجهل أو للفاقة والعجز، ومنها ما هو غير مادي في شكل مساهمات معرفية وعلمية تهدف إلى تطوير المجتمع ورفع قدرات أبنائه بصفة عامة، وغالبا ما كان تمويل إنتاج العلم والمعرفة على حساب العمل الخيري تحديداً في الاجتماع السياسي الإسلامي.

إلى ما قبل نشوء الدولة الوطنية الحديثة.

ويمكننا القول باطمئنان: إن أغلبية

صور الأعمال الخيرية التي أسهمت

في "تمدين" للمجتمعات الإسلامية،

وفي بناء حضارتها الفاشقة، قد

تجلت في "نظام الوقف" في معظم

مراحل تاريخ هذه المجتمعات.

فمن خلال الأوقاف وبشمول

منها نشأت أغلبية مؤسسات العلم

والثقافة داخل المساجد وخارجها في

صورة مدارس ومعاهد وكتليات جامعية

للمختصين، ودروس ومكتبات عامة. ومن بين

أولئك الذين تلقوا تعليمهم في تلك المؤسسات الخيرية

تخرج رواد كثيرون في مجالات علمية وتطبيقية متنوعة، شملت

الطب والهندسة والكيمياء والزراعة والصناعة والفلك والصيدلة،

إلى جانب مختلف الفنون والآداب والمعارف النظرية الأخرى.

العمل الخيري الإسلامي ليس "مرحلة أولية" من مراحل تطور

العمل الاجتماعي الطوعي للعبي بالشأن العام، وإقفا هو ركن أصيل

في بناء المجتمع وفي تدينه وبناء تقدمه العلمي والمعرفي، كما أنه

يتسع معاه لمختلف المراحل التي يشهرون إليها. وقد أثبتت التجربة

التاريخية أن تطبيقاته تشمل مجالات الحياة، بما في ذلك

الأعمال الإغاثية - وهما أهميتها التي لا يجادل فيها أحد - والأعمال

التنموية، وأنشطة التأهيل والتمكين، والدفاع عن الحقوق، وتحصيل

الحقوق الأساسية، والدفاع عنها. ونحة العديد من الأداة والبراهين التي تثبت صحة ما نذهب إليه. فالمدارس والمستشفيات والمطاعل ومراكز التشريب المهني، ودور الإيواء، وكثير من الأشغال العامة (الطرق والمناظر وقنوات المياه والإصاعة...) كل ذلك أسهمت الأعمال الخيرية الإسلامية في تسييده ونمول العمل الخيري في هذه المجالات وفي غيرها إلى نظام مؤسسي متكامل الأركان إداريا واقتصاديا وقانونيا، وتحمس في "نظام الوقف".

## ٣- مقصد السلم الأهلي

يعزى العمل الخيري حالة السلم الأهلي بين الفئات الاجتماعية المختلفة بطرق متعددة، لعل من أهمها أن حصيلة المبادرات

الخيرية تشكل شبكة من العلاقات التعاونية، وتدعم

روح الأخوة والتراحم والتعاطف في الاجتماع

السياسي الإسلامي بصفة عامة. وإلى ذلك

أشار العلامة ابن عاشور حيث يقول:

"عقد التبرعات قائمة على أساس

المواساة بين أفراد الأمة، الخادمة

للعلى الأئمة؛ فهي مصلحة

حاجية ومحسبية جليلة، وأثر

خلق إسلامي جميل؛ فيها حصلت

مساغة الموزين وإغناء المقتربين

وإقامة الخيم من مصالح المسلمين".

وإذا كان الإنسان "ذنباً" لأخيه

كما يرى بعض فلاسفة النهضة الأوروبية

الحديثة مثل "توماس هوبز" مثلاً، فهو أخ

للإنسان في الرؤية الإسلامية يسعى لإسعاده

وتعاون معه على عمل الخير، ومحم عليه أن يتعاون معه

على الشر أو الإصرار بالخير. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى

الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (٢:١٨٥).

وقد تكررت وصايا الرسول ﷺ التي تحض على فعل الخير

لتفج الناس -مطلق الناس- قال ﷺ: "خير الناس: أتقاهم للناس"

(رواه الطبراني والبيهقي). وقال: "كل معروف صدقة" (رواه البخاري).

كما حض النبي على المبادرة بفعل الخير ولو كان شيتا بسيطا

جدا، ومن ذلك قوله ﷺ: "لا تحزن من لعمرك شيئا ولو أن

تلقى أخاك بوجه طليق" (رواه مسلم). وقوله: "اتق النار ولو بشق

قرة" (متفق عليه)، واعتبر الرسول ﷺ أن من الصدقات التسيم في وجه

### مقصد

### الخيرية هو

### أول مقاصد العمل الخيري

### الإسلامي وأعلالها منزلة. ففي

### مقدمة الأهداف التي يتوجه إليها العمل

### الخيري أن يسهم في "تحرير" النفس الإنسانية

### من الأغلال التي قد تكبلها لسبب أو

### آخر، وتعوق حركتها، وتهدر

### طاقاتها.

الآخر، فقال: "تسمك في وجه أخيك لك صدقة" (رواه ترمذي)، وغير ذلك كثير من الأحاديث الشريفة التي تركز على المبادرة بعمل الخير بشكل عام، وتنبيه إلى ضرورة أن يبشتر على أوسع رقة ممكنة من السعي الاجتماعي عبر المبادرات التي يستطيع أن يقوم بها كل إنسان مهما بلغ طيق ذات يده، إذ أُرشد ﷺ إلى كثير من المبادرات الخيرية قليلة التكلفة (شئ قرة)، أو التي لا تكلف شيئاً مادياً يذكر (وجه طلق) أو «البسمة الصدقة»؛ وذلك لما لهذه المبادرات الخيرية المتنوعة في قيمها المعنوية والمادية من تأثير كبير في إشاعة جو من الطمأنينة والسلام والأمن بين أعضاء المجتمع مهما اختلفت مواقعهم الوظيفية، ومهما تابعت مراتبهم الاجتماعية. ومن ذلك ومن مثله عرفنا أن من مقاصد العمل

الخيري الإسهام في تعزيز السلم الأهلي، وتقوية شبكة العلاقات التعاونية بين أبناء المجتمع. ويسهم العمل الخيري في تحقيق مقصد "السلم الأهلي" بصور أخرى متعددة، منها: المسارعة إلى إزالة نقاط التوتر من المجتمع، ودفع الحراك الاجتماعي. بالنسبة للمسارعة إلى إزالة نقاط التوتر من للمجتمع، نجد أن العمل الخيري يسهم فيها بشكل مباشر؛ وذلك في أوقات الأزمات التي قد يتعرض لها المجتمع، أو عند وقوع الكوارث والأوبئة التي قد تصيب فئة أو أكثر من فئات المجتمع. وهنا تظهر أهمية الأعمال الخيرية الإغاثية التي تقدم المساعدات العاجلة من كساء وغذاء وأبواب وإسعافات أولية وما شابه ذلك.

ويحدث العمل الخيري أثره الإيجابي ليس فقط في الوسط الاجتماعي الذي يقدم له الفرد مبادرته الخيرية، وإنما على معنويات فاعل الخير نفسه؛ إذ يكون عمل الخير سبباً من أسباب سعاده في الحياة، وتركبة نفسه والتشراح صدره وتقوية حبه للآخرين، والسعي في جلب النفع لهم، ودفع الأذى عنهم.. إلى جانب أن عمل الخير يشعر فاعله بمكانته ودوره في محيطه الذي يعيش فيه، ويدعم إحساسه بأن لديه مقدره -حق وإن كانت محدودة- على مواجهة مشكلات مجتمعه والإسهام في إصلاحه. وأما عن أثر العمل الخيري في دفع الحراك الاجتماعي،

#### ٤- مقصد محاربة الفقر

لعمل الخيري يختلف صوره هو أحد السياسات الاجتماعية التي تستهدف القضاء على الفقر، وتسعى بشكل دائم ومستمر لتخفيف معاناة، وإخراج من يدخل في دائرته، وإعادة إدماجه في دورة العمل والإنتاج؛ كهي يصبح معتمداً على ذاته، مسهماً في بناء مجتمعه وفي مساعدة غيره، خاصة أن علة الفقر تصحبها علل أخرى كثيرة مثل الجهل والمريض والمطالة والجرم، وهي علل ذات آثار

العمل  
الخيري الإسلامي ليس  
"مرحلة أولية" من مراحل تطور  
العمل الاجتماعي الطوعي المعني  
بالشأن العام، وإنما هو ركن أصيل في بناء  
المجتمع وفي تمدينه وبناء تقدمه  
العلمي والمعرفي..

سلبية، تلحق قدرات المجتمع، وتعرفه عن التطور والنمو. ويسعى النظام الإسلامي عامة إلى احتجاث الفقر من المجتمع بوسائل متعددة، وكلما تيسر بوسائل جديدة للفقر -وهذا أمر يتكرر ولا يمكن تحاشه- أسرع إلى محاصرته وتخفيف معاناة. والمثل الأعلى للمجتمع الإسلامي من هذه الزاوية هو أن لا يكون فيه فقراء.

إن أول مصرف للمسكاة المفروضة هم "الفقراء والمساكين" بلص قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ (النساء: ٦٠). ووردت الزكاة في ٣٢ موضعاً في القرآن الكريم، منها ٢٧ موضعاً حبايت مقرونة بالصلاة، ووردت في أكثر من ٨٠ موضعاً إذا أضفنا إلى ذلك المصطلحات الأخرى التي تشارك معها كلياً أو جزئياً في المعنى مثل الثقة والصدقة التي استعملت للحض على معالجة مشكلة الفقر على وجه التحديد، إلى جانب الزكاة المفروضة تحت ضرورة الإسلام على المبادرة بالأعمال الخيرية الطوعية للإسهام في مواجهة مشكلة الفقر، ومن أهم صور هذه الأعمال الخيرية: الصدقة التطوعية والوقف وألية الائتلاف بقائض رؤوس الأموال والمخ إلى تعطي لغير القادرين

بدون تحصيل فوائد منهم (الفرض الحسن). ومن ذلك كله عرفنا أن محاربة الفقر مقصد أساسي من مقاصد العمل الخيري. وتحتل في ميدان مكافحة الفقر الجنوى الاجتماعية والاقتصادية للعمل الخيري الذي يتناوب فاعله بالأحرر الخيري من رب العالمين. ومثلنا، ثرائنا الفقهي، فطراحيات عميقة حول مشكلة الفقر للسائل والمشاكل التي ترتبط به؛ بل بدأ بتعريف الفقر ما هو؟ مروراً بكيفية قياسه وما أهم مؤشرات، وكيفية مواجهته، وصولاً إلى مناقشات فلسفية عميقة حول لفظة الغنى والفقر، وأيهما بحاجة إلى الآخر: الغني إلى الفقير، أم الفقير إلى الغني؟ أم إن كلا منهما بحاجة إلى الآخر؟ ومن المثلث للاستنباط أن ما تناوله الباحثون والدراسات الاقتصادية الحديثة تحت عنوان معضلة قياس الفقر، وكيفية تحديد "خط الفقر"، قد تناوبا فقهاء الإسلام منذ قرون طويلة حلت. فالحنس المصري وأبو عبيدة مثلاً كانا يحددان ما نسميه اليوم "خط الفقر" برصيد نقدي مقداره أربعون درهماً، واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ: "لا يسأل رجل أوقية أو عدلاً إلا سأل الخافاً" (رواه أحمد والبيهقي)، وذهب الخنفي إلى أن الفقير هو من يملك أقل من نصاب الزكاة، ربع أو خمس النصاب كما قال المصري وأبو عبيدة، والمساكين عندهم هو من لا يملك شيئاً. أما الطبري فيرى أن الفقير هو المحتاج للمعفف، وجمهور المالكية والشافعية والحنابلة يقولون: إن معنى الفقر مرتبط بمستوى الكفاية، ومدى تلبية احتياجات الإنسان الأساسية.

ولمة من قدام العلماء من اهتم بتحليل ظاهرة الفقر تحليلًا اجتماعيًا واقتصاديًا، بل وتجد في كتب التراث بحوثاً شبه ميدانية تتضمن معلومات وآراء تساعد على فهم الأبعاد المختلفة التي تطوي عليها مشكلة الفقر، وكيف تؤثر على بعض الفئات وخاصة العلماء والمثقفين، وكيف تؤثر أيضاً على مجمل العلاقات الاجتماعية والاقتصادية.

### وسائل محاربة الفقر

وللفقر صلبة وثيقة بالفقر، وليس فقط بالجهل والمرض. ولذا كان "التصدي للفقر" في مقدمة أولويات العمل الخيري في الممارسة الاجتماعية في الاجتماع السياسي الإسلامي، وتجلي ذلك بأوضح ما يكون في نظام الوقف الإسلامي عمر أغلب مراحل التاريخ. ويفضّل تراكم الخيرات الاجتماعية في ممارسة العمل الخيري في تبلورت أربع وسائل لتنظيم إسهام العمل الخيري في محاربة الفقر، واختصت كل وسيلة بشرعية أو أكثر من شرائع الفقهاء.

١- المساعدات النقدية التي تقدم للفقراء مرمياً، وخاصة في الأعياد والمناسبات الدينية، أو تقدم لهم في أوقات حاجتهم إليها.

٢- المساعدات العينية التي تشمل: الطعام، والملاء، والكساء، وبعض أدوات الإنتاج البسيطة، والثوب، والمأوى أحياناً، وهي تقدم للفقراء والعوزين مرمياً أيضاً أو في أوقات حاجتهم إليها؛ شأن المساعدات النقدية.

٣- المساعدات المؤسسية؛ ونقصها هنا تلك المساهمات التي يقوم بها فاعلو الخير من أجل دعم أو تمويل أو إنشاء مؤسسات تقدم خدمات عامة مثل: المساجد والمدارس والمستشفيات ومستوصفات العلاج ودور الرعاية الاجتماعية التي تقدم خدماتها للأيتام والعجزة والأرامل ودور الاحتياجات الخاصة.

٤- المساعدات الفنية، وتشمل ما يتطوع به فاعلو الخير من خبرات واستشارات ومشاورات يقدمونها لبلدان أخرى مادي، ويسهمون بها في تدريب وتأهيل الراغبين في العمل ولكلهم غير قادرين على تحمل نفقات التأهيل المهني، اللازم لدخولهم سوق العمل. وجرى تمويل هذه المنظومة الخيرية عبر طرق متعددة منها: الزكاة والوقف والصدايا والهباء الخيرية والنفوذ، والكفارات، والصلوات التطوعية الأخرى. ■

أساتذات العلوم السياسية، جامعة القاهرة / مصر.

### المصادر

- ١) الأعمال الكاملة، لإمام محمد عبده، تحقيق وتقديم محمد حمادة، دار الفروق، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٦.
- ٢) مقاصد الشريعة الإسلامية: دراسات في قضايا للجهاد ومحالات الطريق، لمحمد سليم العوا (محرر)، مؤسسة العراق للتراث الإسلامي، للند، ٢٠٠٦.
- ٣) الأوقاف والسياسة في مصر، لإبراهيم البيومي عامر، دار الشروق، القاهرة.
- ٤) أعمال ندوة "مؤسسة الأوقاف في العالم العربي والإسلامي"، بغداد، معهد البحوث والدراسات العربية، للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٥) إسهام الوقف الإسلامي في الإدارة للتنكامل مصادر المياه، في المجلة الاجتماعية القانونية، لإبراهيم البيومي عامر، القاهرة، العدد ٢، للمجلد ٤٤، مايو ٢٠٠٧.
- ٦) مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد القاهري، عاكور، مكتبة الاستقامة، تونس، ط٢، ١٩٦٦هـ.
- ٧) نخرمان والحنفي في دار المسلمين، لبني صبيح الطويل، كتاب الأمة، قطر، ط٢، ب، سنة ٧٥.
- ٨) شهادات حول الإسلام، لمحمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٩) الاكتساب في الرزق للسقابة، لمحمد بن الحسن الشيباني، لمحمد بن محمد بن حماد، مجلة الأزهر - حمادى الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ١٠) القلاكة والفقراء، لنبهاة مله والذبي أحمد بن علي الدخلي، تقديم: راتب محمود الحصري، الطبعة العامة لمصروف الفقهاء، القاهرة، ٢٠٠٣.

# السلم في الإسلام

## مصدره وضماناته

أ. د. محمد سعيد رمضان البوطي\*

ي

من الهداية الإسلامية. فمن لم يكن قد استضاء كيانه العقلي والوجداني بعد نفيس وهاج من هذا النور، هيهات أن يتفاد لمن يدعوه إلى الدخول في ساحة السلم مع الآخرين، متحلياً عن رعوناته وعصبته وأهواله.

فمن أجل ذلك نوسه الخطاب الرسالي الأمر بالدخول مع الآخرين في ساحة السلم هذه، إلى المؤمنين بالله دون غيرهم. ومن المعلوم أن الإيمان بالله أحص من الإسلام. فكل من آمن بالله تعالى لابد أن يكون مسلماً له، ولكن ليس كل من كان مسلماً لله في ظاهره مؤمناً بالله - بالضرورة - في باطنه، إذ قد يكون منافقاً.

غير أن فيما من قد يسأل: فما هو مصدر تأثير الاستسلام الداخلي لسلطان الله ووجدانيته في النفس، على مدّ رواق السلم الخارجي بين الناس بعضهم مع بعض؟

والجواب: أن من عرف الله إلماً واحداً متصفاً بكل صفات الكمال منها عن كل صفات النقصان، عرف نفسه عبداً مملوكاً له. فإذا استقرت هذه المعرفة في وعي الإنسان ووجدانه، تذبذب كيانه وغاضت رعوناته وعانت أتابيته في حرام حشيتة وتعظيمه لمن هو عيده ومملوكه.. وتلك هي التزكية التي يركز عليها كثيراً البيان الإلهي في القرآن، بأسلوب الأمر أناً، وأسلوب المدح لمن استغلوا تزكية نفوسهم أناً آخر.

إن صاحب هذه المعرفة المستقرة في عقله والمهيمنة على وجدانه، يصبح رباني التصرف والسلوك، فلا يفرق ولا يتعد ولا يعطي ولا يأخذ ولا يعطي ولا يسمع إلا بالله ﷻ، لأنه على يقين تام بأنه كتلة ضعيف وعجز وذلل وفقر، لا يتأني منه شيء، ولكنه بالمدد

يقول الله ﷻ في محكم كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ فِي السِّلَاحِ كُلِّهِ وَلَا تَكُونُوا مِثْلَ شُعَابٍ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ شُعَابُهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَدُورٌ مُبِينٌ﴾ (النساء: ٧٠).

هذه دعوة صريحة واضحة من الله ﷻ، موجهة إلى عباده المؤمنين أن يقيموا علاقاتهم بعضهم مع بعض على أساس من الر والسلم. وجاء التعبير عن ذلك بكلمة ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ الدالة على الأمر بالترحم إلى هذا المبدأ الإنساني الشامل، «بطوعية ورغبة ذاتية وقناعة داخلية. ولكن لماذا حياء الأمر مؤشها إلى المؤمنين دون غيرهم؟ لماذا لم يقل مثلاً: يا أيها الناس اتسلخوا في السلم كافة؟

والجواب: أن الإنسان -مقتضى ما رُكب فيه من الرعونات والأنانية وحس الأثرة والخضوع للأهواء- ميال إلى النفاق مع الآخرين وإلى الأثرة وحس الانتصار للذات. وهي في مجموعها طابع تبت على التصادم، وتوترت العلاقات، والحصام وسفك الدماء، بدلا من التالف والمسالمة والسمر في طريق التعاون والإيثار. وهو ما قد تساءل به الملائكة عندما قالوا لله ﷻ: فيما قص علينا البيان الإلهي من كلامهم: ﴿اتَّخَذَ فِيهَا مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ (النور: ٣٠).

فما الذي يذيب في كيان الإنسان هذه الرعونات، وما الذي يهبل مشاعر الأنانية في كيانه إلى غربة، ويهبل الأثرة إلى إيتار، والحصام إلى ألفة، والتصادم إلى مسالمة وتعاون؟

إن السدي يقضي على ذلك كله في كيان الإنسان، بقطعة العطرة الإسلامية بين حوائمه، ولن تستنقط هذه العطرة بين حوائمه ولن تعمل عملها في القضاء على تلك الطباع إلا بنور

الشباب يقصرون ويلهون، فقال للشيخ: يا سيدي ألا ترى إلى هؤلاء الماسعين الصائرين، ادع الله عليهم. فرفع الشيخ يده قائلاً: اللهم كما أدخلت السرور على أقدمك في الدنيا فأسألك أن تدخل السرور على أقدمك في الآخرة أيضاً. إنه لم يكن ينظر إلى أولئك الذين كانوا يمارسون المحن والظهور، بعين بتريته التي من ضآها أن تخطئ الانتصار لئدس الله بالانتصار للنفس ورعوناتها وأتانيها، ولكنه كان ينظر إليهم كنظار عروجه لله خاصة عن الثواب... وحقيقة العبودية لله زحمت به بين الناس جميعاً على اختلاف توجهاتهم، فكان الشك في هذه الرحمة أن تبعه على الرحمة بهم والتسفة عليهم، ومن ثم توجه إلى الله ثم بهذا الدعاء، وهو - كما نلاحظ - دعاء لهم بالهداية والمعرفة، لأن الله لن يدخل على أقدمك السرور في الآخرة إلا لأنه قد هداهم وعفا عنهم في الدنيا. أرأيتم إلى هذا التسلم الذي اتفق من إيمان المؤمنين الصادقين برسوسة الله الفرد الصمد لهم، ومن ثم بعبوديتهم لله، فنظروا إلى الأسرة الإنسانية كلها من حلال قول رسول الله في الحديث الذي سبق ذكره: "اخلق كلهم عيال الله، فأقسمهم إلى الله أنفعهم لعالمه"، فظهرت قلوبهم بذلك من الشجاعة والنعطاء والعصية للذات، وعادت بذلك دعاء لمحبة الله، ثم تفرعت عن جذع هذه المحبة القدسية فروع لا حصر لها من محبة عباد الله والتسفة عليهم والرأفة بهم... أقول أرأيتم إلى هذا التسلم الذي اتفق سلطانته من إيمان هؤلاء المؤمنين بالله، أفكان من الممكن التناغم من نفوس أناس لم يحبس عليها حقائق الإيمان بالله، ومن ثم لم تصطبغ بعد بصبغة العبودية لله؟ إن الخطاب الرباني مهما توجه إلى هؤلاء الناس أمراً ثم بالدخول في السلم، فإن الاستجابة لن تكون للأمر الصادر من لدنه، وإنما تكون الاستجابة لرغائب أهوائهم وعصيانهم، ولوحي استكبارهم على الآخرين. وهي في مجموعها وعولسات لا يبدئها إلا مشاعر العبودية لله.

### لماذا شرع الجهاد القتالي

لعل في الناس من يقول: فإذا كان الإيمان بالله هو المدخل الذي لا بد من السلم، وإذا كان الإسلام إنما جاء لمدد رواق السلم في العالم، فلماذا شرع الجهاد القتالي إذن؟ ولماذا توجهت جيوش المسلمين بأسلحتها إلى كل جهات العالم؟

والجواب: لماذا كان القصاص هو الشرعة التي لا بد منها لحماية الحياة؟ لماذا كان العقاب هو السبل الذي لا بد منه

الإلهي يعتبر قادراً على كل شيء، والمبدء الإلهي يتقلب في أعمال السوء وتجارها وصناعاتها، والمبدء الإلهي يعمل وينطق ويصر ويسمع. ولعل هذا من بعض معاني كلام الله في الحديث القدسي: "... وما يزال عبيدي يتقرب إلى بالوافل حتى أحبه، فإذا أحسنه كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن استعدي لي لأعبدنه" (رواه البخاري). فلتأمل في حال هذا الإنسان الرباني ونظرة إلى عباد الله وطريقة معاملته لهم، وهو يقرأ قول الله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا نَبِيَّ آدَمَ وَخَلَقْنَاهُمْ فِي آلِ نَارٍ وَنُخْبِرُهُمْ رُزُقْنَاهُمْ مِنَ الْغَيْبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: ٧٠)، وهو يقرأ أو يسمع حديث أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "اخلق كلهم عيال الله فأقسمهم إلى الله أنفعهم لعالمه" (رواه أبو بلى والترمذي). لا ريب أنه ينظر إلى المؤمنين المستقيمين من عباد الله نظرة توفيق وحب، وبعظهم من نفسه وإمكاناتها كل عون، وينظر إلى الفاسقين والثائنين والضالين - على اختلاف خالقهم - نظرة إشفاق ورحمة، ويذهب في مصحهم بدافع من الرحمة بهم والعزة عليهم كل منهج. فإن هم استجابوا فرح باستجابتهم، وإن هم أخرجوا عنه وركبوا رؤوسهم دعا الله بالهداية لهم.

ولقد كان أول وفد وفد إلى رسول الله من الحبشة ليعلم أفرأه غفيدة بإعظام الله ووحديته ورسوله، من هؤلاء الربانيين الذين ينظرون إلى عباد الله - أباً كانوا - هذه النظرة... فقد أقبل إليهم المشركون بعد خروجهم من عند رسول الله، ساعرين شاكين، وقال لهم أبو جهل: ما رأينا أحق منك، أرسلكم فومكم تعلمون غير هذا الرجل فلم تطعن بحالكم عنه حتى هارقم دينكم! فقالوا: "سلام عليكم لا يهاهلككم لنا ما نحن عليه ولكم ما أتمم عليه، لم نأل أنفسنا خيراً" (رواه ابن سعد). ولو أن رجال هذا الوفد تلقوا سحرية المشركين وشالهم، بظلمتهم ومشاعرهم البشرية بعيداً عن الأسطفاغ حقيقة العبودية لله، لنادواهم بالتسليم متلها بدلاً من السلام الذي قابلوه به، ولتحكمتهم حظوظ النفس وعوامل الانتصار للذات.

### اخلق عيال الله

ولقد ذكروا في سيرة العالم الرباني الخليل سيدي الشيخ معروف الكرخي، أنه كان يسير ذات يوم مع ثلة من تلاميذه على شاطئ دجلة، فسرى أحدهم في داخل غر دجلة سمينة عليها ثلة من

للقضاء على الجريمة؟ رواق السلم العالمي عند يأمر من الله ﷻ، وضمانات بقاءه ورسوخه ومشروعة، صدر الأمر الإلهي برعايتها والسهر على تنفيذها. وإن من الضمانات لبقاءه الصرب على يد كل من أراد هذا الرواق سوءاً وتوجه إلى العيث به.

إن الجهاد القتالي الذي شرعه الله ﷻ، لم يقصد به وما التصويب من الخريبات التي يتمتع بها الناس، ولم يقصد به حرهم عبوة إلى معتقد لا يردونه، أو نظام لا يستسيغونه، وإنما شرعه الله ﷻ تحصيلاً لراحة المسلم أن لا تمتد يد العيث ها، وأن لا ينتقص من أطرافها، أيس في الدنيا طغاة يطمعون بحقوق الآخرين ويستعملون إمكاناتهم وقوتهم في اقتصاصها، كم من أوطان مستضعفين احتلت، وكم من أموال لهم اغتصبت، وكم من أعراض انتهكت، وكم من حريات صودرت. فما هي العيون الساهرة التي لا يد منها حراسة الأوطان والأموال والأعراض والخريات؟ إنها الشريعة الإسلامية الغراء التي أتت بها حاتم الرسل والأنبياء. لقد فتحت بلاد الشام ومصر وغيرها، ولكن هل كان معنى فتح كل منهما إلا طرد المستعمر للتحل الذي جاء من وراء البحار يمثل أرض مصر والشام ويسيطر سلطان قهره وعتوه على أصحاب تلك الأوطان؟ وهل عرفت الدنيا أناساً أسعد من أهل مصر والشام بتلك الفتح الإسلامي الذي حرر رقابهم وأرضهم من طغيان الاحتلال الروماني، وأعاد إليهم حرياتهم الضائعة؟ ولكن أفكان من الممكن استعادة الحقوق إلى أربابها وطرد العدو المحتل، إلا عن طريق القهر الجهادي؟ إنها خسرعة العقاب والقصاص، هي الضمانة التي لا يد منها حماية الحقوق وحراسة الخريات. وهذا معنى من معاني قول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاتٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ١٧٩).

لقد أنزل عمر بن الخطاب ﷺ -وهو أمير المؤمنين- العقاب الصارم، على ابن عمرو بن العاص ﷻ، لأنه حاول أن يستهين بحرية شاب من أقباط مصر، وأصاب برشاش ذلك العقاب والده أيضاً قائلاً: "ممن استعديتم الناس وقد ولدكم أمهاتهم أحراراً؟" أفكان عمله هذا حماية للسلم الذي جاء الإسلام لرعايته وتحصينه، أم كان انتهاكاً للسلم وانتقاصاً من أطرافه؟

إن البيان الإلهي ينهي في القرآن عن الإفساد في الأرض، ويحذر من الإفساد فيها، ويأمر بالصرب على يد المفسدين في الأرض، ويكرر هذا التحذير والبيان في كل مناسبة. من ذلك قوله تعالى خطاباً لنفاوون: ﴿وَلَا تَبْغِ الْقِسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ

لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النهم: ٣٧٧). وقوله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ وَالْبَحْرُ بِمَا كَسَنَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ (الروم: ٤١). وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْجَنَاحِ ۖ وَإِذَا تُوتِي سَعَى فِي الْأَرْضِ جَافَقَهُ فِيهَا وَتُهْلِكَ الْحَرْثُ وَالنَّسْلُ ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْقِسَادَ﴾ (نهم: ٢٠-٢١). فما هو المراد بالفساد في الأرض؟ إن المراد به -باختصار، وبكلمة جامعة- العيث بمغفومات السلم وضماناته في المجتمع. وصور ذلك كثيرة ومتنوعة، وكلها يتدرج تحت معنى الظلم وانتهاك قدسية الحقوق.

أليس من مقتضى حراسة السلم والسهر على تحقيق عوالمه ومغفوماته، الضرب على أيدي العابثين به، والمستمررين لحقوق الآخرين والمعنيين في إهلاك الحرت والنسل كما قال الله؟ ثم ليس من أعجب ما يُدخل العقل أن تسمى حراسة السلم العالمي عن طريق حراسة العدالة والضرب على أيدي المترصين بمغفومات السلم، نظراً وإرهاها؟ وأن يسمى إغاب البلاد المظلمة الآمنة بتوان الحروب الكيدية المظلمة والعمل على الإيقاع بين الأخوة المتألفين للتعاونين حماية للسلم ومقاومة للإرهاها؟!

### وحصيلة القول

أن الإنسان لو لم يكن منذ أقدم العصور يحمل داخل كيانه أنقلا من الرغوات النفسية، للمنطقة في العصبية والأنانية والرغبة في اقتصاص حقوق الآخرين ما وسعة ذلك، لما حمله الله أمانة الإيمان بالله واليقين بعبوديته وملوكيته لله، وأمانة الالتزام بالسرعة التي فرضها عليه، لتكون الأداة التي تمكنه من التحرر من تلك الآفات والرغوات النفسية، ومن ثم تيسر له سبيل السعي إلى مد رواق السلم العالمي محصناً بسور العدالة وحماية الحقوق.

وأن حب الطغيان واقتصاص الحقوق والإفساد في الأرض لو لم يكن الطبع للملازم لكثير من الناس في كل عصر، لما شرع الله الجهاد القتالي، لعدم وجود الحاجة إليه، بل لما شرع الله القصاص في القتلى، ولما رسم العقوبات والحدود التي ينبغي أن يلاحق بها للمجرمون. ولكنها قد علمنا أن الظلم من شيم كثير من النفوس البشرية، وأنه يتم على الغالب حلال تار من الوحشية، نظلم الحيوانات للترسة عندما تشبه وحشية هذه النفوس ها، فكان لا بد من سطورة عادلة تحطم آليات الظالمين ومحالهم. ولم يكن من سبيل إلى هذه السطورة إلا الجهاد.



# حراء

على علمية ثقافية خضراء  
www.hiramagazine.com

## الطفولة البريئة..

مطمئناً تنام..

خافك البراءة،

ووسادك الطهارة،

والدنيا من حولك في صخب وضجيج..

والماكرون الحادعون يخططون،

كيف البراءة منك يسرقون،

وكيف الطهارة يدنسون،

والطفولة يغفلون،

والبسملة الحلوة على شفتيك يمسحون...

فإلى الله تنضرع،

والعرون منه تطلب...

\*\*\*



وأن الجهاد الذي شرعه الله لمح الفساد في الأرض وحماية روافق السلم أن لا يساء إليه وأن لا ينقص من أطرافه لم يسحر يوماً ما للإحار على اعتناق معتقد في مكان معتقد آخر، إن الإله الذي شرع الجهاد هو القائل في القرآن عليه ﷺ: ﴿لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَخَلَقْنَاهُمْ عَلَىٰ بَشَرَةٍ مَّحْسُورَةٍ﴾ (النبي: ١٧-٢٢)، وهو القائل له: ﴿وَلَوْ سَاءَ ذِكْرُكَ لَأَنزَلْنَا فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَيْبًا مَّخْتَلِكَةً﴾ (الشع: ١٢١) ﴿يَكُونُوا مَوَّابِينَ﴾ (سورة: ١٩٩)، ولقد حذر إله الكون الذي شرع هذا الجهاد من أن يستعمل للعنوة على الآخرين أو للاستعانة على أي من حقوقهم، فقال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْسُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْسِينَ﴾ (البقرة: ١٩٠).

## الفرق بين السلام والاستسلام

وأحمر فإن من الأهمية بمكان أن لا نسي -وإن تحدثت عن السلام ومصدره وأهميته- الفرق الكبير بين السلام والاستسلام. لقد بات من المعروف أن هناك من يعربى بالسلام ويتحدث عن أهميته ومدى الحاجة إليه، وهو إنما يخطئ لتعريب السلام وإحلال الاستسلام محله. إن السلام بين الشعوب بل بين أفراد الأسرة الإنسانية إنما يعنى الألفة التي تتسبب فيما بينهم، فيترامسون بدافع من تبادل الخدمات والتبادلات المتوعدة فيما بينهم، دون إحسان أو نقي من فقه منهم على أخرى. وقد علمنا أن حلوة الإيمان بالله إذ تهيمن على العقل إدراكا وعلى الوجدان تعظيماً ومهابة وحياء هي التي تمتع على رسم هذه العلاقة وتحدد الألفة بسور الأمانة والسلام.

أما الاستسلام فهو نتيجة لمكيدة يخططها القوي مرتباً بها الضعيف، مستغلاً عجزه وضعفه، فلذا تمت الخلطة وتحققت الغاية كان على الضعيف أن يرضى بالمصير الذي سبق إليه، وأن يتجاهل حقوقه التي حردت منه، فإن هو أبى وراح يتربص للمخالفة بحقه مستخدماً عن بطيح في عوته وإنصافه، عدا بذلك عدواً للسلام، محدداً حساب الإرهاب. إن الإسلام بمقدار ما يدعو إلى السلام ويشرع ضمانات وجوده، يحذر من الاستسلام ويربأ بالإنسان الذي كرمه الله أن يهون أو يذل لسلطان غير سلطان الله، وصدق الله القائل: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ تَعْصِينَا أَمْرًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤).

كم من فكر عبقرى ولد تحت أجنحة الليل. وكم من أفكار عالياً  
مبادئ سامية انشقت عنها رحم الليل... هالبشرية ليل مدينة... ولوجالات  
الليل، القاهرة النور، يغزى كل ما وصلت إليه البشرية من تقدم ورقي.

\*\*\*

## السنن الإلهية في المنظومة الكونية

أ.د. علي جمعة\*

إذا نظرنا للقرآن الكريم على أنه كتاب هداية، بمعنى أننا نتأمل ما فيه من القوانين والمبادئ نجد أنه يحتوي على سنن إلهية. وتسم سنن الله ﷻ بشاغلنا ومطاردنا عبر الزمان والمكان، فهي لا تتغير ولا تتبدل. وتلك السنن الإلهية بذلك الثبات والاستقرار كونت هجرة الله التي معطر الناس عليها، وكانت حزاماً من مكونات عقل المسلم تساعد في التعامل مع الكون وفهمه. وتوضح تلك السنن الإلهية من مطالعة كتاب الله المسطور (القرآن الكريم)، كما أننا يمكن أن نجد دليلاً للتعامل مع كتاب الله المظور (الكون). وكتاب الله المظور هو بيئة تطبيق الإيمان بكتاب الله المسطور، فكلا الكتابين لا غنى عنهما في الوصول إلى رب العالمين وتلويح سعادة الدارين. فما اتضح لنا سمات سنن الله وأشكالها، يجعلنا نؤكد على أن دراسة السنن الإلهية بل واستغلال علم مدرستها وبيان علاقتها مع المبادئ العامة للقرآن أصبح واحداً يمكن أن يعيد الإنسان والإنسانية بظفرة جديدة لمجموعة العلوم الاجتماعية والإنسانية ويمكن بهذه الظفرة أن تنهيا لتحديد علمي وواعٍ للتحديات الدينية. وإذا ذهبنا لفصل القول في كل السنن الإلهية لاحتجنا إلى مجلدات، ولكننا نضرب مثالاً لهذه السنن بالحدِيث ثلاث سنن منها وهي: ١- سنة التكامل، ٢- سنة التدافع، ٣- سنة التوازن.

### ١- سنة التكامل

والتكامل يعني أموراً:

الأول: أن المخلوقات لها نقص حلبي، فيحتاج كل مخلوق إلى باقي المخلوقات في منظومته حتى يحقق الوظائف التي به معاشه وسعادته.

والثاني: أن الله تنسره عن الاحتياج إلى زوج يكمله، وتفرد بالقيومية، وسجل خلقه أزواجا في حاجة في الظاهر إلى بعض، وفي الباطن في فقر دائم وحاجة مستمرة له سبحانه، فقال تعالى: ﴿شُعَبَانَ الَّذِي عَلَّقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُبْسُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يُعْلَمُونَ﴾ (س: ٣٦).

والثالث: أن أساس العلاقة بين الإنسان وأبيه الإنسان هي التعاون وليس العداوة، بل إن أساس العلاقة بين الإنسان والكون هي التفاعل والصالح والتكامل، مما يؤكد على ما استقر في عقلية المسلم من أن الصراع طارئ، وأن الأساس التكامل. والرابع: أنه ما دام الأمر كذلك فعلى المسلم مسؤولية كبيرة في هذه الأرض، وهي عودة الاستقرار والسلم إليها، وإنهاء حالة الصراع والصراع، فذلك المفاهيم التي ترتب على سعة التكامل أو اطلاع عليها من بهاجم الإسلام بمعظم علمه، لا تعتبر للأمة في تاريخها، واحتدتها بما في سيرة إصلاح العالم بأسره.

الخامس: أن يتوانع الإنسان خلقه سبحانه، حيث يترك الإنسان تقصير واحتياجه لكل ما حوله، فهو في حاجة دائمة للهواء الخارجي للتنفس، وللماء للشرب وللطعام للأكل وللوم، ولتصايد الحماة وللزوجة وللأبناء وللأصدقاء، والله هو الذي يعي الإنسان بتوفير كل ذلك له، فيتوانع لعظمة الله ويتقن من فقره، ويعلم أنه غير قادر على الاستقلال بعيداً عن الله وفصله.

والله قد خلق الأكران مختلفة في طاهرها، لكنها متحدة في الهدف والعبادة. فهذا الخلاف والاختلاف إما هو للتزوع وليس للتضاد. فالليل والنهار يتشكلان يوماً واحداً، لكل منهما خصائص، والذكر والأنثى لكل منهما خصائص، ولكل منهما وظيفة، والحاكم والمحكوم لكل منهما وظيفة، والعسي والقسير، وأهلب الشايات خلقية أو قدرية. فالخلقية كالليل والنهار والذكر والأنثى، والقدرية كالحاكم والمحكوم والعني والعقير، ومبيهاها قدرية لتعرفها عن الخلقية، وإن كان فيها سعي للإنسان واختيار وكسب، إلا أنها من فضل الله وقدره أيضاً.

نحتاج إلى فهم عميق لسعة التكامل، فإن في فهمها الخير الكثير، وفي ترك فهمها وعدم القدرة على استكشافها الشر الكثير، فإن فهم سعة التكامل يجعل أصل المخلوق عبد للمسلم هو التكامل وليس الصراع، ولذلك بعهم العلاقة بين الذكر والأنثى على أنها حلفت للتكامل بخلاف التوحه الذي يدعو إلى أن الأصل هو الصراع، وأنه يجب على المرأة أن تصارع الرجل للحصول على حقوقها،

وأن للمحكوم يجب أن يصارع الحاكم للحصول على حقوقه، وأن الإنسان يجب أن يصارع الكون حتى يحصل منه منفعة، على ما استقر في الفكر الإغريقي من فكرة صراع الألة وانتصار الإنسان في النهاية عليها.

وفهم سعة التكامل لا يعني حدوث الصراع أو إمكانية حدوثه ووقوعه، ولكن هناك فرق بين أن نجعله أصلاً للخلق لا يمكن الفرار منه، وبين أن نجعله حالة عارضة يجب أن يسعى لإنحائها حتى تستقر الأمور على الوضع الأول الذي خلقه الله.

هذا التكامل هو الذي يفسر عند فهمه بين العن الروحي للجهاد في سبيل الله وبين الحرب التي تنشأ هنا وهناك لأجل المصالح والغلبة والاستعلاء في الأرض والفساد فيها أيضاً.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَتَثَمَّ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ نَقِيبًا﴾ (١٥:١)، وقال سبحانه: ﴿وَخَلَقْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ الْيُسْبَىٰ فَتَحْوَنَ آيَةَ اللَّيْلِ وَنَعْلَمَ آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَسْعَوْا فَغُلَّ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا عَذَابَ الْعَذَابِ وَالْجَنَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَهَلَسَتْ تَقْطِيبًا﴾ (١٦:١)، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَا لَكَ الشُّكُّ تُؤْمِنُ أَشْكَكَ مِنْ نَفْسِهِ وَتَزُورُ أَشْكَكَ مِنْ نَفْسِهِ وَتُعْرِ مِنْ نَفْسِهِ وَتُدِلُّ مِنْ نَفْسِهِ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٦:١)، وقال تعالى: ﴿وَزَفَقْنَا نَفْسَهُمْ فَسَوْفَ نَقُصُّ فَزَعَاتٍ يَبْعِدُ نَفْسَهُمْ نَفْسًا شَرِيحًا وَزَفَقْنَا وَتَبَّ خَيْرٌ مِمَّا يَحْتَسِبُونَ﴾ (٢٧:١)، (٢٧:١).

### نتائج التكامل

وهذا التكامل هو الذي يجعل العلاقة بين الرجل والمرأة ما لها إلى السكن والمسكنية وإلى المودة والرحمة وإلى التعاون وعمارة الأرض بالسبل الصالح القوي، يقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّا خَلَقْنَا لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَخَلَقَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١:١)، (٢١:١).

ذلك التكامل الذي يجعل الحاكم والمحكوم في

فَقُضِلَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾.

وهذا التعبير القرآني بين حقيقة علو القرآن على التفاسير التي جعلها البشر، فهو لم يصر هذا في القتال أو النزاع والخصام - كما ورد في التفاسير -، غير بالدفاع ليشمل كل أنواع التعاون والاختلاف بل والصراع والصدام للوصول بكل وسيلة إلى الاستقرار وثيق مراد الله من خلقه: عبادة، وعمارة، وتزكية.

فالتدافع سنة إلهية تبين أن الإنسان قد علمه الله ﷻ اجتماعيا يحتاج إلى الآخرين، وهم يحتاجون إليه، فلم يخلفه منعزلا قادرا على البقاء وحده حتى يحقق مراد الله من خلقه، بل إنسه لابد أن يعمل في فريق ليصل إلى هدفه، وعمله في الفريق وحركته الاجتماعية وتشاطعه ذات يحتاج إلى إدراك سنة التدافع. وإدراك هذه السنة يتولد منها قوانين كثيرة لضبط هذا النشاط والحراك، وعليه فإن عملية فكرية لابد أن تسبق النشاط، وهو ما قد يكون الإنسان العصري قد اعتقده حيث سبق النشاط الفكر، وكان ينبغي أن يسبق الفكر النشاط ويسبق حديث القلب أيضا الفكر وفدا موضع آخر يشرح الفرق بين الأمرين.

وتكون سنة التدافع مدافعة أهل الخير وحشد الله، لأهل الشر والإفساد في الأرض، وذلك لتحقيق الإصلاح والاستقرار على الأرض، فقد أوضح ربنا ﷻ أن من آثار هذه السنة الإيجابية مع الفساد في الأرض ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ لِلنَّاسِ نَفْسَهُمْ بِغَيْرِ لِقَاءِ الدَّارِ﴾ (البقرة: ٢٥١). وأوضح سبحانه أن هذا المدافع الذي جعله الله تعالى بين جمده الفاعلين بالصالح والإصلاح وإعمار الأرض، وبين أعدائه الفاسدين المفسدين القائلين بتخريب الأرض من أعظم نعم الله على البشرية، إذ لو ترك القاسد يشيع الفساد في الأرض ويستضعف الصالحين، وهم لا قوة لهم لتهدمت كل القيم وكل الأشياء الجميلة في هذا الكون، حتى أماكن عبادة الله ﷻ، كما أخبر الحق تعالى بذلك فقال: ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنَ دَارِهِمْ يَبْعِرُونَ﴾ (١) ﴿لَا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ لِلنَّاسِ نَفْسَهُمْ بِغَيْرِ لِقَاءِ الدَّارِ﴾ (البقرة: ٢٥١) ﴿وَتَبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَأَرْسَلْنَا إِلَهُكَ بِالْحَقِّ فَوَلَّى الْآيَاتِ﴾ (البقرة: ٢٥١) ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ لِلنَّاسِ نَفْسَهُمْ بِغَيْرِ لِقَاءِ الدَّارِ﴾ (البقرة: ٢٥١) ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ لِلنَّاسِ نَفْسَهُمْ بِغَيْرِ لِقَاءِ الدَّارِ﴾ (البقرة: ٢٥١).

وسنة التدافع ليست أمرا عسريا بقدر ما هي حالة

خسوف واحد أمام كيد الكائدين، ويجعل الحاكم رفيقا وحيدا بالمحكومين، واعيا لشقوقهم، قائما بمسئولته على أكمل وجه، حيث يتشكل كل حاكم وحبة الإمام على من أوى طالبه ﷻ لما لك من الأشهر ﷻ حين ولاد مصر، عندما قال له: "أشعر قبيلك الرحمة للربعة والمحبة لهم والطف بهم، ولا تكون عليهم سعيضا ضاربا تعتم أكلهم، فإنهم صفان إما أع لك في الدين أو نظير لك في الخلق، يعرط منهم الركل وتعرض لهم العلق، ويؤتى على أيديهم في العدد والخطأ، فأعطهم من عفوك ومعدك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه". واليكامل يجعل للمحكوم متعافيا منهم لحاكمه، معصا عما لا فائدة من ذكره، مقبلا على صالح بلاده وغنائها. إنه التكامل الذي يجعل صاحب العمل يتعاون مع العمال، وصاحب رأس المال يتكامل مع القوة البشرية التي تدير المشروع، فلا يكون هناك بين صاحب المال وبعث يظع ويستغل ظروف سوق العمل، ولا يكون هناك ضغط من العمال لأحد ما لا يستحقون، بل يتعاون الجميع على تنمية اقتصاد البلاد وصالح أحوالهم المعيشية بما يرضى الله. إنه التكامل الذي يجعل صاحب البقاء متعاون ومتفاهما مع المستأجرين، يتعاون الجميع على نظافة وحال ثيابهم، فيصح أشتي كلفة نظيفا جميلا، ومن ثم تكون البلد كلها متحصنة عمران على نظافة المسلمين وتعاونهم.

ذلك التكامل هو الذي يجعل العني يساعد الفقير، ويجعل الفقير متصفا وينخلص من فقره، ويجعل الشعور السائد بين الأغنياء والفقراء الحب والتعاون، فلا يرى العني في نفسه فضلا على الفقير، ولا يرى الفقير في نفسه دماة.

هذا التكامل الذي إذا تم في كل تلك المجالات، يتحقق فيها وصف المصطفى ﷺ إذ يقول: "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عصبوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى" (روى عنه). هذا التكامل الذي أرواه الله لصالح الناس وإصلاح الأرض وإعمارها.

## ٢- سنة التدافع

سنة التدافع، وهي سنة مأجورة من قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ لِلنَّاسِ نَفْسَهُمْ بِغَيْرِ لِقَاءِ الدَّارِ﴾ (البقرة: ٢٥١) ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ لِلنَّاسِ نَفْسَهُمْ بِغَيْرِ لِقَاءِ الدَّارِ﴾ (البقرة: ٢٥١).

تحدث لتطهير الأرض ونقاها، فإن الله لا يبق الحثيق بقود ويسود حياة الدس أبداً، حين وإن مكته من ذلك فليلا، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مِنَ الشَّنَاءِ مَاءٌ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِعًا وَمِمَّا يُوقِفُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ جُنَّةٍ أَوْ مَقَاعٍ رَدٍّ مِثْلُ كَذَلِكَ يَعْرِبُ اللَّهُ الْخَفْ وَالْخَطْلُ قَائِمًا الرَّدُّ قَدْ دُعَتْ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَبْتَغِي النَّاسُ فَحَسْبُكَ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَعْرِبُ اللَّهُ الْأَمْتَالُ﴾ (المرم: ١٧).  
 فإن حق عبادة البس يكون دائما للأصلح الذي يحقق الخير والاداء والرحاء لهم، ما يحقق حجارة الإله. إن، التي تعلم فيها القيم الأخلاقية على الشهوات، ولدا كتب الله ﷻ ذلك في الرسائل السابقة قبل القرآن، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ نَبِيِّ الدِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [١] فِي هَذَا لَتَلَاَمَ يَقُومُ عَابِدِينَ ﷻ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الاسد: ١٠-١١).  
 ومن أجل تحقيق ذلك كتب الله في كونه تلك المسنة التي بينا معالها وأحكامها، وموقف أهل الخير منها وأهل الفساد.

### ٣- سنة التوازن

وهي سنة قد أشار الله إليها كونها، قال تعالى: ﴿وَأَنشَأْنَا فِيهَا مِنْ كَلْبٍ نَاسِيٍّ مُّؤْوِيٍّ﴾ (المرم: ١١) وفيها قال تعالى: ﴿وَأَنشَأُوا الْوُزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (المرم: ١١) وقال سبحانه: ﴿فَلَعَلَّ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ (النورى: ١٧)، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (المائدة: ٢٥).  
 ويرى مرة ثانية أن الاستقرار هو الأساس الذي يجب أن ينتهي إليه النشاط الإنساني بعد التوتر الذي يبدأ به، وإذا تحدثنا عن مثل هذه السنة لربنا أنها سنة كونية وسنة قيمة، وأخذ منها موقفا من قضائنا البينة وموقفا من قضائنا الفكر، وموقفا من مفهوم العدل خاصة إذا رأيناها تمتد إلى الآخرة والحساب ومثل دالا على عدل الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (الانعام: ١٧)، وقال سبحانه: ﴿وَالْوُزْنَ تَوْزِينَهُ﴾ (المرم: ١١).

والذي لابد للإنسان أن يمتثل به ثم بأن التكليف على وفق هذه السنة مشيرا إلى أن التكليف بالأحكام مرتبط ارتباطا تاما بالسنة الإلهية المحيطة بنا، وأن تطبيق هذه

الأحكام من خلال فهمنا للسنة وتفاعلنا معها هو الضامن لتحقيق هدفها والوصول إلى مقاصدها يقول تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ﴾ (التوبة: ١٢٩) فالتوازن هو التوسط بين الإفراط والتعريط في كل الأمور، وهذا التوسط هو من خصائص هذه الأمة المحمدية الخالفة، يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ عَلَّمْنَاكُمْ أَمْرًا وَسَعَاءً لِّكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيُكَفِّرُ الْكُفْرَ عَنْكُمْ عَلَيْهِمْ أَشْهَادُ﴾ (البقرة: ١٤٣).

والتوسط هو الأجد والمختار والأعلى كذلك، يقول ابن كثير في تفسيره "والتوسط هنا: الخيار الأجد، كما يقال: قرئ وسط العرب نسباً ودلواً، أى: خيرهم، وكان رسول الله ﷺ وسطاً في قومه، ولما جعل الله ﷻ هذه الأمة وسطاً حصها بأكمل الشرائع، وأقوى المناهج، وأوضح للمذهب".  
 الوسطية أو التوازن تساهم في بناء المسلم متوازن النفس، مدون العقل، - أديم العار، - النافع المصالح، واداء قامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت في عهد وزيرها الأستاذ الدكتور عبد الله معنوق المعنوق بعمل أمانة لمشروع الوسطية، وجعلت عليه أمانة عاما هو الفكر الإسلامي والعالم الكبير أمد عصام البشير وزير الأوقاف السابق بدولة السودان، وهذه الوسطية كمصباح حياة، وكفكر ديني، هي التي ينبغي أن تنصع في الفكر الإسلامي الآن، وهي التي من خلالها صدر بيان عمان الذي اعترف بالمذهب الإسلامية كلها، والذي كان بيانه الافتتاحي من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، والذي تأكد ونابذ في اجتماع منظمة المؤتمر الإسلامي في مكة المكرمة في شعبان سنة ١٤٢٦ هـ الماضي، والذي وقعه أكثر من مائتي عالم ومرجع من مراجع الفقه الإسلامي في العالم.

فالتوازن إذن سنة إلهية نتعلم منها الكثير، نتعلم منها الانصاف وقبول الحق في العصب والرفض، ونتعلم منها التفكير المستقيم، ونتعلم منها بناء العقلية العلمية، وترك عقلية الانعطافات. ■

فالتوازن إذن سنة إلهية نتعلم منها الكثير، نتعلم منها الانصاف وقبول الحق في العصب والرفض، ونتعلم منها التفكير المستقيم، ونتعلم منها بناء العقلية العلمية، وترك عقلية الانعطافات. ■

من الديار المصرية.



## لا تذهب يا أبت..

❖ كامل عون ❖

المستشفى تعج بالمرضى وليس هناك سرير شاغر للمرأة وابنها، فالتفتا على الأرض في إحدى الزوايا تحت حر الشمس الحارق لعصرة من الرمن.. وبعد وقت قصير حضر الطبيب الوحيد في هذه الصحراء وراح يفحص الأم وابنها الممدودين على الرمال اللامعة.. هرأسه وقال دون اكترات: "لا فائدة.. إلهما يموتان..". ثم همّ بالعودة إلى حيث أتى.. كان هذه الكلمات الثقيلة وقع الصاعقة على المرأة البصاء.. فحدت في مكانها وشح وجعها وارترعتت أمامها وقالت بصوت واهن مرتعف: "أتوسل إليك ساعدهما..". فرد دون أن يلتفت إليها: "إلهما يموتان.. ليس بوسعنا أن نفعل شيئاً، إلهما مضية للوقت..". ساد السكون لحظات.. ثم انصهرت بصرعة غاضبة في وجه الطبيب الذي راح يتعد عنها غشياً غشياً: "لست أبت الذي تقرر موقفاً..". وأجهشت بالبكاء.. كلمات سقرت قديمه في الأرض فزوف برهة ثم أشار

الشاحات لشرق أمواج الرمال في الصحراء للحرقة مختلفة ورائعها عيرما غارية صفراء... أرض المخيم في وسط هذه الصحراء مختلفة بأجساد أتاس كالأشباح حاصرهم الفقر والجوع والمرض من كل جانب، وقذفتهم ريح البأس إلى دهاليز مجهولة المستقبل... وإذا بشاحية تقف بقرملة مزعجة على أرض المخيم، وتدفع منها امرأة شابة بيضاء البشرة وبين يديها طفل أحمى معشي عليه، تنعت بكنة ويسرة بدعر، وتطلق صيحات وتوسلات تتعالى وتلعن على أي صوت أتر: "الحددة.. ساعدونا أرحوكم ساعدونا!..." فلا أحد يبالى بما ولا أحد يبادر لمساعدتها، كأن الناس هنا اعتادوا على مثل هذه الحالات وعلى مثل هذه الصيحات... وعلى الأثر أخرجت من الشاحية أم الطفل في حالة أسوأ من ابنها بكمز يحملها وحمل إلى مستشفى الصحراء... مشهد مرعب..

"الشعور بالمسؤولية هي أول وسيلة لتحقيق رؤانا وأحلامنا..  
سبعي ربط جهرنا بالمسؤولية.. طريقا طريق الحق، وقضيتنا حمل  
الحق، وغابتنا تحري رضا الله في كل رقة عين.. ينبغي أن نشعر  
بالمسؤولية لأنها صفة كريمة الإنسان وحكمة وجود الإرادة.."  
وكان هذه الكلمات تؤيد قراره وتشد عزمه وتدفعه إلى تحقيقه....

ميكوات الصوت تذكر الركاب المسافرين بالتوجه إلى بوابة  
"كونغو". ألقى بنظره الأخيرة على زوجته وأولاده الذين لم يكن  
يتصور الحياة بدونهم.. ثم ضمهم إلى صدره واحدا واحدا وقبلهم  
مرات ومرات.. الكل يبكي.. التفت إلى زوجته التي كانت تمسح  
دموعها وقال في رقة: "استودعكم الله، اعتادوا بصحتكم جيدا..  
وادعوا لي بالتوفيق". "أبت لا تذهب.. لا تتركنا أرحمك!"..

ما إن سمع هذه الكلمات حتى لمعت في رأسه صورة أمنا  
حاصر وولندا إسماعيل عليها السلام عندما تركهما إبراهيم  
عليه السلام في صحراء مكة القاحلة وجاها.. في صحراء لا زرع فيها  
ولا ماء، ولا أنيس ولا حليس.. دوى في رأسه صراخ الطفل  
إسماعيل عليه السلام الذي كان يتردد صده في أحواء هذه الفقراء،  
وبناء الأم الذي كان يشق عنان السماء: "يا إبراهيم! أين تذهب  
وتتركنا في هذا السواد؟". وإبراهيم يغيب عن الأنظار وولندا  
رويسا دون أن يلتفت إلى الوراء.. فتنادي الأم مرة أخرى: "الله  
أمرك هذا؟". هيفتف: "نعم". عندها تتراح أمنا حاصر وتقول في  
غمر تردد وقلق: "إذن فلي يضيئنا.. يا ها من ثقة بالله عظيمة..  
ثم تسأل: "هل كانت الكعبة المباركة تقام وبأي الناس إليها من  
كل فجح عميق لولا ترك إبراهيم الحليل عليه السلام أمنا حاصر في هذه  
الصحراء؟.. هل يسعى الناس بين الصفا والمروة، وهل يشربون  
من ماء المزمزم؟.. أجل، كل هذه الأشياء هي حكمة إلهية".

ثم التفت إلى ابنته الصغيرة التي كانت تتأذي من صميم  
قلبها.. نظرت إلى عينيها المبلتين بالدموع ثم اغترب منها واحتضنها  
وراح يقاتلها بمرفة قلب ويكلمها بلطف: "أبوك لن يغيب  
طويلا إن شاء الله، بضعة أشهر ستمر سريعا بإذننا يا حبيبتي.."  
شعر أن الأرض تميد به وأنه لم يعد يقدر على مقاومة مشاعره  
الحياضة.. مسح دموعه وأقبلت من بين أهدابه ونظر إلى زوجته نظرة  
للسنتيع وكان لسان حاله يقول: "أرحك ساعديتي.. فتناولت  
منه طفله الصغيرة ولو بصعوبة.. حمل حفيته وأخذ تمضي نحو  
البوابة بسرعة دون الالتفات إلى الوراء خشية أن يعذل عن رحلته  
ويرجع، وصغيفته تتأذي.. أبت.. أبت.. لا تذهب..".

ألقى برأسه على حاجر المقعد في الطائرة وشرد بنظره إلى

بيده إلى مساعدته بأن يقل المرأة وإنها إلى الحيمة. وبعد بضع  
ساعات أخذت الأم إلى حيمة العمليات الجراحية...

صراحت استرحام تصم الآذان.. ما كادت تطمئن المرأة  
البيضاء في مكانها حتى دخلت إلى الحيمة في طرفة عين.. يا هول  
للتشهد... المرأة الأم ممددة على طاولة من خشب والدياب ملتفت  
عليها.. بظنها مضطرب، وقد تدلت حبال أمعواها بيننا ونحوها،  
وجسدها كله يهتز ورجلاها يمسكها بكل ما لديهم من قوة حتى  
لا تتحرك من شدة الألم... ثم تعد المرأة البيضاء تسمع إلا أنفاسها  
اللاهتة، ولم تشع إلا بصدرها الذي يعلو ويهبط رعا.. قالت  
وعيناها تنوران في قلبي ودهشة: "يا إلهي! ماذا فعلتم بالمرأة؟  
إنكم تقتلوها؟!"

انفض الطيب حلة واحتنق وجهه بالعصب.. ألقى نظرة إلى  
المرأة التي شق بطنها دون عثر ثم ركز نظره في وجه المرأة البيضاء  
وهتف: "أين طئت نفسك يا امرأة؟ في مستشفى خمس نجوم؟"  
بعد كل شيء، لا أدوية ولا جلد.. الناس يموتون هنا من الجوع!..  
....

مشاهد متيرة على شاشة التلفاز.. أجل، كان إبراهيم يشاهد  
هذه اللقطات المثيرة من فيلم يعرض على التلفاز... إنه سمع عن  
إفريقيا الشيء الكثير ورأى عنها حتى الصور من الكتب المجلات  
والجرائد... غير أن هذه المشاهد التي رآها قبل قليل حزت في نفسه  
ورسخت على جبهته سطور ألم ناطق... نكس رأسه وغاب في  
تفكير عميق.. وإذا بصوت زوجته: "هيا، الطعام جاهز.. ظل  
إبراهيم وإحما في مكانه مكروبا مهموما شاعرا بالذنب.. كيف  
يملو له طعام أو يستسبح له شراب بعد أن رأى ما رأى؟! أراد  
أن يروح عن نفسه فتوجه مستأذنا زوجته إلى الشرفة.. جلس  
على كرسيه المفضل.. تهيدات أخرجه من الأعماق ثم قال في  
نفسه: "يا إلهي ما هذا الذي يجري في هذه الدنيا!.. أبطل أن  
يعيش الناس هنا حياة رخاء وبعثة، ويعيش أولئك المساكين  
هناك تحت قيود الفقر والجهل والمرض والجوع.. لا.. سأذهب  
إلى تلك البلاد..". خطوات أكأها تجدد مصر حياته.. كان يحب  
مساعدة الفقراء أينما كانوا، وبعد يد العون إلى كل محتاج دلا  
تردد، حتى إنه كان يرسل كل عيد أضحى عشرات الأشخاص إلى  
مختلف أرجاء العالم، ويساهم بجمع الأخرى مع المنظمات الخيرية  
التي نلرت نفسها إلى خدمة الإنسانية.. ولكن هذه المرة قرر أن  
يذهب بنفسه..

قام من مكانه وتوجه نحو الغرفة حيث المكتبة.. تناول كتابا  
بعنوان "وغيث نقيم صرح الروح..". ففتح الكتاب وبدأ يقرأ:

بعيد... رتت في أذنه كلمات أستاذة التي قالها يوما: "كالشمعة.. عليك أن تتسعل وتسلوب لتشر السدوب للآخرين..". وهل يستطيع أن يكون شمعة تنوب من أهل إحياء الآخرين؟ توحه إلى مولاه ﷺ صارعا وما توفيقى إلا بك، ولا اعتيادي إلا عليك.. يا رب يا الله! عليك توكلت وإليك أنبت، فبئس لي أمري، وثبت أقدامي..".

....

الوجود متشابهة في ملاحظتها ومخترها في "كونها".. الطرات مصوبة إليه وكأها سهام ترشفه.. كان أبناء هذه المدينة يتوجسون خوفا من الرجل الأبيض، لأنه أذلهم هوانا ما بعده هوان وسامهم ظلما ما بعده ظلم... فالرجل الأبيض في نظرهم شيطان أمد، ولابد أن هذا الرجل الأبيض الغريب واحد من إخوانه. حاولوا في المطار أن يرجعوا من حيث أتى، حتى إن بعض المتعصبين منهم كان يكرر قصته ويرم شفتيه ويشر بأصبعه إلى عنقه ويقول: "لثوث لبيش".

مضت الأيام بسرعة.. هاهو عيد الأضحى على الأبواب.. شرع بتنظيم قائمة أسماء أصحاب الأصاحي وفي مقدمتهم اسم الرسول ﷺ حسبما طلب منه أصحابه الأثراك الذين أزره ما ديا ومعويا في مهمته هذه.. اشترى ٦٣ كبشا وراح ينتظر يوم العيد ببارخ الصبر..

....

استلقى إبراهيم على فراشه ليأخذ قسطا من الراحة.. تناهى إلى سمعه التكبيرات والتهليلات من مكبرات المأذن المتناثرة القليلة في المنطقة.. إنه صباح العيد.. الساحة تعض بالناس ذوي الوجود السمر واللبان النخيف. وإذا رجل يشع وجهه نوراً يتقدم نحوه تحفرت رغبة.. إنه أشرف خلق الله عليه الصلاة والسلام ويده قائمة.. فهت إبراهيم مسرعا لاستقباله بفرح حم وسعادة غامرة ووقف إلى جانبته باحترام واستحياء... أخذ الرسول ﷺ يقرأ الأسماء واحدا تلو الآخر: أوس، صادق، أحمد، عبد الرحمن... حتى أكمل العدد ٦٣..

أفاق إبراهيم من نومه وحينه ينضح بالفرح، فرجد الدعوى تنحط لها مزارا فوق خديه.. كان يكي.. همست شفتاه بصوت خافت وقلبه يرفرف بين أضلاعه من الفرح: "إنه هو!..". أحس كأن يد الرسول ﷺ لمسح رأسه... قال في شوق: "يا رسول الله، يهلك الناس في هذه البلاد الثانية ولا يعرفك حتى المعرفة!..".

....

لم يصدق أهل هذه المنطقة ما رأوه بأعينهم.. كيف لرجل

أبيض يحسن إلى أسود ويلبغ الدبايح من أجله، هذا شيء عجاب!.. كل شيء من حوله يوحى بالسعادة والرضى، وكان هؤلاء المساكين لم يعانون أو يتسلقوا أطوال حياتهم!.. وكان إبراهيم يتغرب هذه الفرحة في استمتاع ونشوة غامرة.. كل تناول كيس لحم يعطي به نحو بيته وجهه طلق مشرق... فلح إبراهيم غلاما صغورا متفرقا، يقف بعيدا عن الناس وكأنه يتحرر من الاقتراب.. دنا منه وراح يمسح على رأسه نجان ثم جمه إلى حضنه، لاطف شعره المجعد وقبته... تذكر أولاده فعمم في نفسه: "ما الفرق بين الأبيض والأسود، أليسوا كلهم أولادا وولدت أكبادنا.. أليسوا كلهم أملا ومستقبلا". ثم أعطاه كيسا من اللحم.. فهرول الغلام الصغير إلى أمه بفرحة غامرة وراح يحدتها.. فظن إبراهيم أنه سيعود بكيس اللحم.. ولكنه علم فيما بعد أن الغلام يقول لأمه: "مسح لرجل الأبيض رأسي وأحتي يا أمي..". حاشت عواطفه وأطلق صراخات صامتة من أحشاء قلبه: "الحمد لله ملء السماوات والأرض أن كرمي بخلعة هؤلاء المساكين..". وبعد إيفاء مهمته هنا ولى وجهه شطر منطقة أخرى..

....

وصل هو ورفاقه إلى قبيلة تبعد عن المدينة بأربع ساعات بعد رحلة شاقة عبر البر على قارب صغير. تعجب رئيس القبيلة وأهلها من قدوم رجل أبيض إلى قبيلتهم، إذ لم يأهم زائر أبيض من قبل أبدا.. فأراد رئيس القبيلة أن يلتقي بالضيف.. وما إن علم غايته حتى رحب به واستقبله بمحاوة بالغة.. فعم الفرح في جميع أطراف القبيلة.. إذن، جاء إليهم رجل أبيض ليساعدكم لا يستعذبهم.. رجل أبيض يرى الناس جميعهم سواسية كأسنان المشط لا فضل فيهم لأبيض أو أسود.. يا ما من أخلاق فاضلة!.. لعله هو الإنسان الذي نحب أن يقتلوا به ويسروا على نفسه... فحاولوا أن يهلوا كل ما عنده من الأخلاق والعلم والعزيمة في ساعات معلودات..

وعتدا أن أوان الفراق قال رئيس القبيلة لإبراهيم وعواطفه تفيض بالفرح والأسسى تارة، وبالفرح والسرور والرحمة تارة أخرى: "سر على بركة الله، فقد بعث الروح في أحسادنا الميتة، وأيقظتنا على نور الخلد والرسالة السمحاء فأحييت بها قلوبنا.. علمتنا معنى الحياة وعلمتنا الحب والإخلاص والعطاء...".

(١٠) كاتب وأديب / اليمن.



روح مشتعل، ووجدان ملتهب، يالدمع أطفئه... هبتهك إذا اغرورقت  
يالدموع هي صنو العين إذا الماء عنها تفتقر، ولهب الصحراء أطقاً وسقا...  
\*\*\*

## بالقرآن تسعد القلوب وتأنس النفوس

د. عصمت محمود أحمد\*

الحية وللحاشية التي تستمر كذلك حاضرة ومرافقة الوجود الإنساني. لقد ظلت القصبة الأخلاقية المتمثلة في تحديد الطريقة الحكيمة والمثلى للسلوك تمثل مرتكزا أساسيا لخطاب القرآن الكريم، فالتقارير المتدبر لأيات القرآن الكريم يجد البعد الأخلاقي بارزا عتلا موقع الصدارة في التعاليم والأداب الإسلامية، وهذا يقضي بنا ليس إلى تأكيد تناول القرآن للمسألة الأخلاقية فحسب، بل إلى تقرير أن نصوص القرآن الكريم قد عمدت في شطرها الغالب

نوعى فلسفة الأخلاق بصورة جوهرية بدراسة مبادئ السلوك الإنساني وغاياته، ونقي السعادة كواحدة من أهم غايات ذلك السلوك. لهذا تعد قضية السعادة الإنسانية من القضايا التي شغلت الفكر الإنساني منذ القدم، وما يزال البحث الفلسفي عن حقيقتها حين الآن بذات الحيوية التي كانت قبل أزمان عتيقة، ولذا فإن إشكالية البحث النظري حول السعادة تلج في نطاق طائفة من الإشكالات الفلسفية

ت

إلى معالجة تلك المسألة.

الرؤية القرآنية، وهذا ما حال بين أولئك الفلاسفة وبين الانتهاء إلى نسق قرآني متكامل مباهر عن الآيات القرآنية ومتوافق معها. وفق هذا السياق فإن الأوفق عند تناول قضايا الأخلاق القرآنية تقع إلى أن الرؤية القرآنية تعطي على نسق أخلاقي متكامل يتسم بالثبات ويرتكز على ركائز وكميات ناعمة من تصور كلي للوجود والإنسان يتسم بالصفاء والشفاء.

### كليات التصور القرآني للوجود والإنسان

كما سبق الإشارة إليه فإن فلسفة الأخلاق عبر مدارسها وتياراتها المختلفة تبحث في مبادئ السلوك الإنساني وغاياته، فإن ذلك يعني بالضرورة أن تعدو قضية السعادة محصوراً عاماً في التفكير الأخلاقي باعتبارها تلج في نطاق غايات السلوك؛ ومن هنا فلا محال لاستبعاد تصور قرآن أخلاقي حول السعادة الإنسانية؛ بيد أن المفهوم القرآني للسعادة يستند كما أشرنا في المقام الأول على تقاء وصفاء كليات الرؤية الإسلامية للوجود والإنسان. ويمكن الإشارة إلى هذه الكليات على النحو التالي:

#### أ- التوحيد حقيقة الوجود

أولى تلك الكليات التي لخصها كركائز للتصور القرآني مثلاً في إثبات وجود الله جل شأنه، الخلق المنفرد بالخلق والإنشاء والتقدير، للتصرف في مقادير السموات والأرض سطوا وقضوا وإشأت ما يليق بخلائه من صفات الكمال والجلال.

#### ب- الخلافة غاية الوجود الإنساني

من ركائز التصور الإسلامي التي يقرها القرآن الكريم إعلاء نام عبر طائفة من الآيات نفي عبثية الوجود الإنساني، وهذا ما يتوالت في أكثر من موضع في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ لَا تُرْجَعُونَ﴾ (الزمر: ١١). ونفي العبثية عن الوجود الإنساني يستلزم الإبانة عن غاية وجود ووظيفة الوجود الإنساني؛ وهذا ما نفي الإشارة إليه في شأنا الحوار الغلوسي في شأنا قوله تعالى: ﴿زَيْدٌ قَالَ رَبِّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠)، ومن ثم فإن هذا المبدأ القرآني - مبدأ الخلافة - يجعل للإنسان وظيفة وجوداً وتكليفاً، وللوجود الإنساني غاية ومطلباً، وهذا الدور يمثل الهدف الأساس للوجود الإنساني، وهو الذي أعطى ذلك الوجود عمدة مازة عن سائر المخلوقات، ويختص هذا التكليف بتسمم الإنسان وظيفته ومسؤولية كونية ذات أهمية وجودية هائلة.

#### ج- البعث والأجزاء الأخرى

بطبيعة الحال فإن التكليف والمسؤولية يقتضيان الحساب

وهذا الأمر كان حاسماً في فكر الإمام أبي حامد الغزالي؛ فهو إذ يحلل في مؤلفه القيم: "جواهر القرآن"، نجد يرد جواهر القرآن إلى عنصرين أساسيين، يتصل أحدهما بالمعرفة ويتصل الآخر بالسلوك. وبذلك فإنه يحدد بنسب إعمال النظر في القرآن الكريم بنسبته رسالة أخلاقية، أثرت على من وصفه الله ﷻ بقوله: ﴿وَالَّذِي نَعْلَمُ خَلَقَ عَظِيمٌ﴾ (البقرة: ١)، وهو الموصوف بالخلق العظيم آنان عن الهدف المحوري للرسالة التحميدية بقوله ﷻ: "إنما بعثت لأهم مكارم الأخلاق" (رواه مالك).

بيد أن للتأمل في آيات القرآن الكريم بلحظ أن نصوص الوحي القرآني قد حلت من مفردة "السعادة" إذ تم ترد تلك المفردة في آية قرآنية فقط بل وردت كلمتا سعيد وسعدوا في موضعين متقاربين من سورة هود في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَأْتِي لَأَن نَّكَلِّمَ نَفْسٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيحٌ وَسَجِدٌ \* فَأَمَّا الشَّقِيحُ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زُجُجٌ وَشَقِيقٌ \* خَالِدِينَ فِيهَا مَا ذَابَتْ الشَّمْسُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ قَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ \* وَأَمَّا الشَّقِيحُ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا مَا ذَابَتْ الشَّمْسُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَذَابٌ غَيْرُ مَعْدُودٍ﴾ (هود: ١٠٠-١٠٤). ولعل النص القرآني في سياق هذه الآيات لم يكن معنياً في المقام الأول بإبراز رؤية وتصور قرآني حول السعادة بل كانت الإشارة هنا مصورة نحو بيان مآل العباد في اليوم الآخر ما بين شقي وسعيد.

ومن هنا وعلى خلفية عدم ورود مفردة السعادة في آية آية في القرآن الكريم برز سؤال ظل يطرحه عدد من تناولوا قضايا فلسفة الأخلاق في الإسلام فتساءلوا حول اشتغال وتضمن القرآن الكريم لرؤية أخلاقية حول السعادة، وتعد هذا التساؤل حول مساهمة للتفكير المسلمين في الفكر الأخلاقي بصفة عامة.

وتعد أن ننسج هنا إلى أن التعامل مع مثل هذه الأسئلة التي تمس قضايا ذات أبعاد جوهرية في الخطاب القرآني يجب التعامل معها تحذير من الإهمال على التفران الكريم ندماً وتأملاً، وتذلل مزيد من النور للتفكير للمفاهيم والتصورات القرآنية، كما أنه ينبغي ألا ننسج عن رؤية أخلاقية قرآنية وفق مرجعية معيارية تنتمي لتنسج أخلاقي آخر، خاصة إذا كان هذا الآخر مابنا في مطلقاته ومرتكزاته للرؤية القرآنية حول الكون والوجود الإنساني، مثلما فعل رواد الفلسفة الإسلامية في استنباطهم خلف النموذج الأفلاطوني والأرسطي، وما يصادرون في تصورهم الأخلاقية عن رؤية كلية تجاه الوجود والإنسان معارفة لما عليه



والجزاء، ومن هنا فإن حقيقة البعث والحساب الأخرى مثل ركيزة هامة من ركائز التصور القرآني. وحقيقة البعث والجزاء ذات أثر مباشر في تشكيل منظومة الفكر الأخلاقي الإسلامي، فالإيمان بالبعث والنشور والجزاء كلية هامة وأساسية، "وما نستقيم الحياة البشرية على منهج الله الرجوع ما لم تتحقق هذه الكلية (أي الحساب والجزاء) في تصور البشر، وما لم تطعن قلوبهم إلى أن جزاءهم على الأرض ليس هو نصيبهم الأخير، وما لم يثق الفرد للحدود العمر بأن له حياة أخرى يستحق أن يجاهد لها".

### د- المسؤولية الفردية تجاه الحساب والجزاء

يتصل بمبدأ البعث والجزاء الأخرى حقيقة فردية ذلك الحساب والجزاء "أَلَا تَرَوْنَ وَزَارَةً وَزَرَ أُخْرَى \* وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى \* وَأَنْ مَعْنَى سَعَى يُرَى \* ثُمَّ يُحَرِّصُ الْمُحَرِّصُ الْأَوَّلَى" (هم: 38-41)، وهذه الحقيقة ذات صلة وثيقة وتعكس مفاصل على متعدد الشعور الأخلاقي لدى الفرد، عندما يوقن أنه محروك بعمله ولا يستطيع الهكاك من كسب نفسه، فيعمل على محاسبتها والتخلي عن كل أمل بمساعدة في أن يناله آخر - مهما كان - ينفع أو يصل عنه تبعه. إن الله ﷻ لا يعاسب الناس جملة بالقامة، إنما يحاسبهم فرداً فرداً كل في حدود واجباته ومسؤولياته. وعند إعمال النظر في تلك الركائز التي يقوم عليها التصور القرآني في عالم الدنيا والآخرة نجد أن الفكرة القرآنية انحصار ما إلى نتيجة هامة وهي أن الإنسان يمثل الكائن الوجودي الأوحده الذي جعل في مركز الحيانين: الدنيا للحدودة العانية، والآخرة للمتعة الساقية.

### بين مفهومي الفلاح والطمأنينة

لقد انشغل المفكرين منذ القدم بالبحث في ماهية السعادة؛ فقدموا أطروحات متباينة، ويريد أن نشير إلى أن الرؤية القرآنية للسعادة تتمحور حول مفهومي الطمأنينة والفلاح، مع نظرة خاصة لمفهوم الطمأنينة باعتباره أن الوصول إلى طمأنينة القلب تمثل جوهر السعادة القرآنية ومنتهى السسر الإنساني في مسيله للنسامي نحو الله ﷻ. هكذا فإن هديس المفهومين - أعني الطمأنينة والفلاح - يُراد لهما أن يلا عمل سائر المفاهيم التي طرحها الفلاسفة من لذة ومنفعة وواجب وغير ذلك. وقبل أن نعي على تناول هذين المفهومين فتمة ادعونا للإشارة إلى قضية أساسية في الباء الأخلاقي القرآني وهي مسألة وحدة السعادة الإنسانية:

### وحدة السعادة الإنسانية

تواتر آيات القرآن الكريم نحو تأكيد الطبيعة العالية للوجود

فهي تنفي في غير ما موضع أن يكون هذا الوجود جاء حدوثه صفة عارضة، أو عناء غير قصد ولغير غاية، بل على القبيض من ذلك تنص إلى أن الله تعالى أوجد الوجود في أحسن وأكمل هيئة وصورة ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (هم: ٢٧)، وهو ﷻ من بعد إحسان الخلق لم يترك الوجود هباءً، إنما يتعمده بالرعاية والبرية ولهذا يلهم للمسلم بالمساحة في كل وقت: ﴿الْحَسْبُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ٢١٧)، فالرب مقتس من البرية، وهو المالك المتصرف للإصلاح، ومن هنا كانت رويته مطلقة شاملة كاملة لا تغيب عن الوجود لحظة. فالصلة بين الخالق والخلوق قائمة وممتدة في كل وقت وحال، فالوجود جميعه يتجه إلى رب واحد، له السيادة للطفة عليه، وهو يتعمده بالرعاية الدائمة غير المنقطعة. ونسب في وحاب هذا المعنى الشريف لنجد أن التصور القرآني يؤكد أن عمة هداية وبالية عامة وشاملة لكل الخلاق تقودها وتسوقها مسوقاً رفيقاً نحو كمالها وأغابها ومعادها. وهو ما نقرأه في طائفة من الآيات نحو قوله تعالى: ﴿رَبُّكَ الَّذِي أُعْطِيَ كُلَّ شَيْءٍ حَلَقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الأنعام: ١٠٠)، وقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى \* الَّذِي عَلَّمَ قُسُوتَ \* وَالَّذِي قَدَّرَ فَهْدَىٰ﴾ (الأنعام: ١-٣)، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القصص: ٢٨)، فهذه الآيات تشير إلى أن المولى ﷻ قد أوجد الخلائق على مقادير مخصوصة وحبود معينة في دوائها وفعالها وأعمالها وأغابها، وأوقاها حقها بما يناسب ما غنر فاء، فهي محتاجة في مسيرها نحو ما قدره الله ﷻ عداية ربانية تكويبه، وهكذا فإن الإنسان هو كائن قد وهبه الله ﷻ تعد استتراء وتام حلقه هداية وبالية ينهت في صوب مقاصد وجوده وكما لالت ذاته أي سعاده.

ولما كانت هذه اشدية الربانية على المستوى الإنساني تُرْسع لمفهوم "وحدة السعادة الإنسانية"، فإننا نجد مظاهر تلك الهداية ماثلة ومشاهدة في طائفة من السس العامة المكرورة في مسرة الجنس الإنساني. ولذا نجد أن آيات القرآن الكريم تتخذ من هذه السن أدلة تقود إلى الإيمان بوحداية الله ﷻ، وهذا الاستدلال يصلي على هذه السن صفة الاستمرارية والرسوخ، وإلا لعل وجه الاستدلال ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ

## مفهوم الطمأنينة

الطمأنينة تعني السكون والاستقرار؛ فقله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَرْسَلُونَ مَطْمَئِينَ لَرَأَوْا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكَاً رُسُلاً﴾ (الإسراء: ٩٥) أي مستقرين. وتستعمل في سكون القلب، فالقلب المطمئن ساكن بإيمانه بالله ﷻ، يجري على قرار من النفس وسكون من الفكر. ولقد أحور القرآن الكريم عن مقام النفس للطمأنينة، وهي التي أشار إلى كونها مثل غابة يمر النفس الشريفة في مسورها وقصدها نحو الله ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْجِيَّةً ۖ فَادْخُلِي فِي عَادِي ۖ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفرح: ٢٧-٣٠)، وهذا الشاسي والرفي يجيء في منحنى كمالات قوى النفس النظرية التي هي غابة كمالها وورقيها على صعيد المعرفة. وأعر تلك المعارف

كما أحرنا- وأضرها معرفة الحق ﷻ، وهي المعرفة الربانية أو اللدنية كما يسميها الإمام أبو حامد الغزالي، التي تبدأ من حيث ملاحظة عجائب آثار الحق ﷻ لتفود إلى نقاء وصفاء تصورات النفس الكلية تجاه الوجود والحياة، ومن ثم الترفي في مدارج المعرفة سموا لبلوغ كمالات قوى النفس النظرية. وتلمح هذا المعنى في سياق قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُنْشِئُ النُّجُومَ قَالَ أُولِمْتُ يُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِبَطْنِي قُلُوبًا شَاقِيَةً﴾ (البقرة: ٢٦٠). فالإيمان الصادق يحرك أشواق الروح وتطلعاته لمعاينة أسرار القدرة الإلهية؛ مما يحيل الإيمان لتحريرة شخصية ذاتية مباشرة بجهاها الوجدان ويغضب الحس ويطمئن ها القلب، فلا تتم للنفس الإنسانية سكون أو اطمئنان إلا في ظل الإيمان الراسخ بالله والرفي إلى مقام لمعرفة الربانية الحقة، ويؤدي هذا للقيام بالمؤمن إلى تقوية الإحساس بالله والأنس بجواره، وهذا هو غاية ومقصد المعرفة الربانية، وذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الفرح: ٢٨). ■

مَنْ قَرِيبَ نُمْ إِذَا أَنْتُمْ بَعَثْتُمْ رَسُولًا ۖ وَمَنْ آتَاهُ أَنْ خُلِقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَحَلَّ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۚ وَمَنْ آتَاهُ خُلِقَ السَّابِقَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِلَافَ أَنْتُمْ وَالزَّادُكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۚ وَمَنْ آتَاهُ مِمَّا كُنْتُمْ بِالْبَلِّ والتَّهَارِ وَالتَّغَاوُكُمْ مِنْ قَبْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الفرح: ٢٠-٢٣). فهذه الآيات تفسر إلى أن هناك هداية فطرية طاهرة في خلق الإنسان وتكوينه، وفي خلق قواه الفعالة التي تقوده إلى السعي والاستمرار في طلب الرزق، وفي إيجادها على روحين بحيث جهز كلا منهما ليتمم الآخر، وفي أن أودع الرحمة والمودة والحب بين هذين الروحين ليسكن كل منهما إلى الآخر؛ فتتخلل هذه الرحمة والمودة إلى من يليها من أطفال وصغاف ومساكين. وكل ما ذكر هنا يدل على أن هذه هداية تكوينية فطرية عامة لحدي الإنسان إلى ما يتحقق غاية ومقصد وجوده أي سعاده.

لا تتم  
لنفس الإنسانية سكون  
أو اطمئنان إلا في ظل الإيمان  
الراسخ بالله والرفي إلى مقام المعرفة  
الربانية الحقة، ويؤدي هذا للقيام بالمؤمن  
إلى تقوية الإحساس بالله والأنس  
بجواره، وهذا هو غاية  
ومقصد المعرفة  
الربانية.

## مفهوم الفلاح

يذهب فلاسفة المسلمين ومتكلموهم إلى أن النفس الإنسانية لها قوتان: أولاهما: القوة النظرية، وكماها في المعرفة، وأخر تلك المعرفة وأشرفها معرفة للو ﷻ. والثانية: هي القوة العملية، وكماها في فعل الحركات والطاعات وخدمة اللو ﷻ.

ترد كلمة الفلاح كمنصفاتها المثبتة في عدد من لصوص القرآن الكريم موصولة ومتعلقة، أي في سياق سلوك إنساني يقع في دائرة الأخلاق العملية، وبما يتضمن الأعمال الإرادية المحسوسة كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۚ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۚ وَذُكِّرُوا هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (البقرة: ٢٣-٢٤). وهكذا إذا تبصرت الآيات نجدها قد حصت الفلاح والفور من الصفات أخلاقه العملية هذه الطائفة من الآداب القرآنية، وكذلك في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ أَسْبَغاً مَضَافَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النساء: ٢٩)، ﴿وَأَتُوا الثَّيِّبَاتِ مِنْ أَنْوَابِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الفرح: ١٨٩). وبصفة عامة فإن صفة الفلاح تعني في القرآن موصولة هذه الأخلاق العملية سعياً لتسوي بالسلوك الإنسان.



## الحوار بين الحضارات مقاربة تصنيفية، ومقترحات منطلقية

أ.د. أحمد عبادي\*

ت

قد أصبحت أفعال ولقدّر في مجالات التدمير منها في كل العصور التي مضت. نحن نمتلك من القنابل النووية والذرية والهيدروجينية وغيرها، ما نستطيع به تدمير الأرض آلاف المرات وليس مرة واحدة. ويكفي تسليق قاعدة مظلمة لوراء إلى عمق الإنسان فتستقر فيه لكي يدمر هذا الكويكب الذي ليس لنا ملجأ سواه؛ فلا أرض -أهنا- سوى هذه الأرض يمكن أن تُقلّ النوع البشري. وقد أثبتت قهرتنا التاريخية للشيء أن الرشد الذي يبرهننا عليه التعميم لم يبلغ درجة الكفاية، حتى في إطار تديباتنا المتنوعة، فالفسادة للتاريخ تثبت أن تعاطينا مع الوعي وهداياته لم يكن فيه -في الأعمال- شئونه لهذا الوعي نستمد منه أحوبة عن

تعيش البشرية فوق كوكب صغير يسمى الأرض، وهو على شفاعته لا يعدو كونه نقطة زرقاء ساطعة في الفضاء. وكوكبا يحكم اكتشاف سكانه عددا من الإمكانيات الماثلة التي تقرب للمسافات وتطوي الزمان وتيسر التأثير والتأثر قد أضحت أشبه غلبة الشغل الماثلة الماثلة، وأضحت عليه هذه المحسنة البشرية أشبه بالبويرة اللقطة التي يمكن أن يتولد عنها كائن إنساني سوي وغيره، كما يمكن أن يتولد عنها مدمر لذاته وللحياة من حوله.

ونساء على هذا الإدراك فإن الحسوس اليوم قد تجاوز مراحل كونه مجرد اختيار إلى صيرلته ضرورة؛ ولاسيما أن البشرية اليوم



والصانع والشرائع والطب، والتي هي جميعاً مُتَحَلِّيُ المعتقدات  
والتصورات والسياسات الثقافية والبرديغمات الموطّرة والقيم  
والمعايير، مع ضرورة مراعاة ذلك كله بالانتباه المتوفّر للفروق  
بين مختلف الحقلول العلمية والعملية، والتفاوتات التاريخية، ومع  
للاحظة الدقيقة والجمع المستوفي للمعطيات مع دراستها وتحليلها  
بالمناهج الملائمة، وهي مناهج يضطر المستكشف في كثير من  
الأحيان أن يبتدعها.

كما لا يمكن تصور القيام بتقنية، دون امتلاك ماضية المعرفة  
الدقيقة بالأصول والمطلقات، إذ لا تعنو التقنية في غاية المطاف  
تصفية الأمور ممّا يشوبها غير الثمن وردّها إلى أصول  
نفسها الأولى دون تحلّ ولا تكلف، كما  
للأعلام الماهية، والإعاقات التصورية  
التي قد تتسرّب إلى هذه الأساق حلّال  
مسارها التاريخية وتعلّقاتها الاجتماعية،  
فتحججها وتلججها أو تفتحها  
على سراديب الكليانية والعف  
الحضاري والدمار للدين.  
أما إعادة الترتيب، فلا  
يجوز أن تكون خارج الترواتب  
تصفيها وتقصيدا في مراعاة ثامة  
للواقع وتعلّقاته، واعتبار مختلف المآلات  
التي قد تنجم عن هذا الترتيب أو ذلك.

### أنواع المحافل الحوارية

غير أننا حين ننظر إلى المحافل الحوارية في عالمنا اليوم فلننا  
لا نجدتها تتجاوز خمسة أنواع رئيسة من المحافل؛ معظمها في مائة  
عن هذا الكدح الخماسي لنسار إليه آتاء:

#### ١ - المحافل التوظيفية

في هذا النوع من المحافل يتم توظيف الحوار من أجل الإبقاء  
على أمور معينة، أو من أجل الوصول إلى أغراض محددة. كما  
يغلب على المقولات والأفكار التي تروّج في هذه المحافل كونها  
صدى لما يجمّله المنظّمون من قناعات؛ إذ يتم البحث في دائرة  
"الآخر" عن سوف يتكلم بما في أفهام المنظّمون وعما يشتهون،  
وليس عن يحمل أفكاراً وقناعات "أخرى"!  
وهذا المنحى التوظيفي تندرج ضمنه حلّ الدراسات التي تم

سؤالاتها، وإنما كان تعاملنا معه -على الأعم- تعاملنا استعمالها  
من أجل أن نصير به قضايا شقيقة، أو أن نقضي به أغراضاً رائلة،  
وقد يقارب هذه أنقصاً وهذه الأغراض في كثير من الأحيان  
إضمار بالذات أو بالمحيض، أو هما معا.

وقد كانت الفترات -على قلّتها- التي سلّم فيها الإنسان فعلا  
للوحي ولهاديته وأتواره وتوجه وفهم سليمين عن التاريخ البشري  
أكثر الفترات سلاماً وعطاءً ورشاداً وتعاوناً على البر والتقوى.

إننا في هذه المرحلة أروح ما نكون إلى فتح الأبواب على  
الواقع كما هو، لنتمكّن من إدراكه على ما هو عليه، لنكون  
أقدر على تصديره ذلك الواقع الذي نحلم به، فكلنا نحلم

بالتسامح والجمال، وأن تكون البشرية متعاونة  
على البر والتقوى فوق هذا الكوكب،  
ولكن الواقع يُثبت أن ثمة سوابق معرفة

وبرديغمات توطّر الأذهان، ومن  
خلال هذا التأطير تُوجّه الواقع  
وسلوك الإنسان. وبالتالي فإنه

لا بد من فتح هذه المظفة  
ودخولها لاستكشافها وتقريبها  
 وإعادة ترتيبها، وهي خمسة أمور

لا يمكن تصوّر تحقيقها بدون اعتماد  
مستلزماتها ومقتضياتها، وفي طليعتها  
الأساس المعرفي البحت العلمي.

فتفتح رمانة المعتقدات والتصورات والسياس  
المعرفية والبرديغمات والقيم والمعايير، وإحصاء حيّاتها  
عدداء، وقياس تأثيراتها، وتفتح تحلياتها في حياة الناس أفراداً

وجماعات، أمر لا يمكن بدون تركيب مركب المعارف المساعدة،  
والتشجيع للقيام بالبحث العلمي اللازم بالمناهج الملائمة، مراعاة  
للسياقات التاريخية والحضارية والثقافية المتنوعة.

كما لا يمكن تصوّر دخول هذه المحاللات المركبة دون  
الاستثمار الزمني والنفسي والذهني والمادّي الملائم، إذ هو دخول  
لا يمكن أن يتم دون التعاطي للبيان التفاعلي المباشر مع أهل

ومكونات الحضارات المختلفة.

أما الاستكشاف، فلا يمكن تصوّر وقوعه بدون ما يلزم من  
آليات ملهاحية ولغوية للتعبّش مدخل الاستكشاف، وكذا يلزم  
من مهارات ومقتضيات مادية لدراسة العلوم والآداب والفنون

### كلنا نحلم

بالتسامح والجمال، وأن  
تكون البشرية متعاونة على

البر والتقوى فوق هذا الكوكب،

ولكن الواقع يُثبت أن ثمة سوابق معرفة

وبرديغمات توطّر الأذهان،

ومن خلال هذا التأطير

تُوجّه الواقع وسلوك

الإنسان.



القيام بها خدمةً للمنظور الاستعماري، أو خدمةً لأفراض وسافح تجارسة واقتصادية صرفة. وهو ما قامت به الدول عبر التاريخ مروراً بالفراصة ووصولاً إلى يومنا هذا؛ حيث تدرس المعقدات والقبايعات ضمن هذه للثاربة التوفيقية بعرض التسلسل إلى للعمار الذهني للأحرر نعية تأطيره ولتحكم فيه.. ومن هنا فإن المحافل التي تحو هذا المنحى توفيقية بامتياز.

## ٢- المحافل الدعوية التبشيرية

وهناك منحى ثان، يمكن أن نصلطح على تسميته بـ"المنحى الدعوي أو التبشيري". وهو منحى لا تكاد تراه منه ملة من الملل؛ ويمكن أن نجده في المسيحية كما يمكن أن نجده في الإسلام، أو في الهندوسية أو البوذية أو في كل الديانات ذات السروع التبشيري، ومن ثم فإن الحوار في هذه المحافل لا يكون تعاريفاً استكشافياً بقدر ما يكون مستهدفاً ضم الآخر بل أحياناً هضمه.

## ٣- المحافل الأكاديمية

الضرب الثالث من للمحافل يمكن أن نصلطح على تسميته بـ"الأكاديمي"، حيث يعنى فيه الباحث معرفة الأمور والوقائع والمعطيات كما هي، يكشف عنها ويتركها إيجاد مساحة للتوفيق من طرف أي من للمحافل الأخرى. وهو يغفل له إيجابياته ويختل المسئلة بين المسائلتين: التوفيقية والتعارفية.

## ٤- المحافل التوفيقية المستهدفة لتحقيق التعايش

هذا النمط الرابع من للمحافل الحوارية يسعى إلى البحث عن نقاط الالتقاء والقواعد المشتركة مع "الآخر" من أجل وضع حد للسرعات العلمية؛ فهو هنا يمارس التوفيق، لكن بطريقة إيجابية تروم حقن الندماء، وحيانة الأرواح، واستيقاظ المصالح وعيا بضرورة الإنقاء على التوازنات بشكل أو بآخر دون العوص في معرفة الآخر ومحاولة فهمه فهما عميقا صادقا وصحيحا وإفادته والاستفادة مما عنده.

## ٥- المحافل المعرفية التعارفية

وهي أكثر هذه للمحافل ندرة، إنما للمحافل التي تريد أن تستفيد من الحكمة أينما كانت؛ إذ الحكمة خاتمة الياحت للمحاور فأينما وجدها فهو أحق الناس بها. ونحن لا نتحدث هنا عن البعض أو عن العلاقة الإيجابية ولا عن تصديقه أو هيئته، وإنما نتحدث عن الحكمة التي تلورت من حلال التعامل مع النصوص في كل الديانات. والحاصل أن لثمة يمكن أن تعلم الكثير ضمن هذه الحانة كما يمكن أن تعلم منه الناس. ولثة حانة مامسة للتعامل ضمن

هذه للمحافل حين يُرتقى فيها الحوار نحو أن يصبح تعاريفاً يتأسس على التباديعات التي تشجع على العور نحو الآخر والإفادة منه، مثل يراديم وحنة البشرية أو الأسرة الأدمية الممتدة، ويرديم مؤقنية الوجود الإنساني ومؤقنية الكون كله، ويرديم نسوية الإنسان ونسبة معارفه ويرديم للكمال وغيرها من التباديعات المؤسسة. وهذا النموذج للعرى التعارفي عودج مستوعب متجاوز مقارنة مع "غودج التسامح" المساند. والذي يعبره قصور؛ لأن التسامح (Tolérance) يلميد أنني أسجل عليك أشياء ألتقط عليها ولا أقبليها فالتفصل وأتعاضى عنها من أجل أن أصل إلى حانة التوفيقية أو التبشيرية أو ربما التوفيقية.. ومن ثم فإن التسامح يبقى محدوداً ليس بإمكانه تجاوز هذا للمستوى. أما النموذج التعارفي فهو أكثر قابلية للتعاطي والإثراء الإيجابي.

وهو عودج نجد التعبير عنه والتوجه إليه يصعب متعددة ومختلفة في حل الدياسات؛ ومن أحلى التعبيرات عنه عدي، ما نجده في القرآن الكريم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَحَقْلًاكُمْ شُجُومًا وَقَتْلًا لِنَعَارِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات: ١٣). وعبد التامل فإنا نجد في كل الديانات تشريعات على التعارف تعطف في شوليتها واسمياعيتها على التعارف.

والنموذج التعارفي ينطلق من حقيقة أن كل طائفة من بين آدم قد عاشت في سياقات مختلفة خورت فيها كمانيات معينة وأملفتها، بحيث إن التحدثات التي تفرضها هذه السياقات تضغط أوزاراً في الكينونة الإنسانية، فتشقى أخرباً من المعرفة ومن الحكمة عادة ما لا تكون عامة، وبشكل يجعل باقي بني آدم محتاجين للاستمداد منها. إن هذا النموذج يعترف بأن كل طائفة من الأميين قد بطورت في مجالها حكمة خاصة واستثنائية يمكن من حلال تشغيل غودج التعارف- أن يتم تقاسمها مع الآخرين

وتعدّيتها إليهم، كما يمكن من خلال هذا التشغيل ذاته أن يؤخذ عنهم ما يلوّره هم أيضاً من الحكمة ومن المعارف.

وفي النموذج الإسلامي يوجد هذا بقوة وإصرار كبيرين في عبارة الحج، ففي قوله تعالى لنبيه إبراهيم ﴿وَإِذْ قَالَ لِلنَّاسِ بِالْبَيْتِ يَا بُنَيَّ رَخِّلَا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (ص: ٢٧)، يعني يفتنون لكسي يتجمعوا حول نقطة معينة هي الكعبة. وهذه الكعبة سميت كذلك لأنها مكعبة، لا أقل ولا أكثر، وحين تصل إلى هذه النقطة تجد أن النصف ليس صيفاً مستقيماً وإنما هو دائري، وهذه الدوائر يصطف وفها المسلمون وينظرون من مواقعهم فيها إلى الكعبة التي لا تعلق كورها سهما مؤشراً على حلال الله وقدرته، وحضوره وعنايته.

والرواية التي تراها أنت من الكعبة حجراً أسود كانت أم ركناً مائناً، أم ركناً شامياً... لا يستطيع عيون رؤيتها؛ لأنك تنظر من نقطة لو ترحححت عليها بقدر أهلة فسوف تتغير الرؤية وإلّا نوراً ما كلها، ولذلك أأنت مدعو ضمن هذه الشعيرة / الركن، التي هي الحج، إلى أن تطوف، وأن تنظر إلى الزوايا الأخرى من القطر والمواقع التي يقف عندها الآخرون... وطولاً لكن يكون في نقطة رؤية واحدة، بل سوف تجمع في أشواطك السبعة كثير من النقط التي تكون ضمن لطاف، غير أن هذا يستدعي انتباهاً، إذ لا تعارف دون انتباه لما تراه، وبعد ذلك يتم الصعود إلى عرفة. ولم يُسم ذلك الموقف عرفة من عبث، وإنما لوجود التعارف فيه. وشعيرة عرفة لا يمل بإنائها إلا وقد تشابهت الأشكال والملاعب والمآزح الروائح؛ إذ لا حق لك بعد يوم التروية في استعمال الطيب، ولا حق لك في الخلق، كما أنك تجتنب ليس أمور الزينة والتشيز وتمتدح مع عيونك من الحجاج الذين جاؤوا من كل فج عميق كأنك أضعت معهم كلهم في قنبر واحدة ثم تحركها لكي تتوج فيها التراب وتكون الطيبة من ثم طيبة واحدة!

حين ننظر في النصوص التي فيها حديث عن ما بعد مرحلة التعارف بعرفة نجد شيئاً اسمه "الإفاضة"، ونجد أن الناس يقبضون ﴿هَذَا أَغْضَمُ مِنْ عَرَفَاتٍ فَادْكُرُوا اللَّهَ إِذْ أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ (١)، والإفاضة توحى بأن قوة تذلّل العقبات التي في طريقها: كحسرة العقبة التي ليس رحمتها رحماً لا ينس، وإنما هو تذلّل للعقبات التي تحول دون الناس والتعارف فيما بينهم ومن ثم التعاون على الشر والنقوى سواء من باطن أم من ظاهر.

وفي هذا رسالة للبشرية جمعاء لتحقيق الامتداد التام بين نفس

التعارف ذهاباً إلى الكعبة وإياباً منها، حيث يلتقي الناس من كل فج عميق فيتعارفون، ويتشاورون، أضرب الحكمة المتعالية، ثم يعودون بها لأقربائهم وبأن آخرون... وهكذا دواليك، في حركة تحاكي نظم الفؤاد.

### الواقع البحثي في مجال الأدب المقارنة

ونحن لنا من خلال هذا النموذج المعرفي أن نسائل الواقع البحثي في مجال الأدب المقارنة... فلنذهب مثلاً إلى مكتبة موربال، أو مكتبة كمبودج أو مكتبة جامعة محمد الخامس ولنبحث عن صورة الآخر في البيانات المختلفة، سوف تجد أنها تدرج جميعها -إلا ما استثنى- ضمن الخانات الثلاثة الأولى؛ كما سوف تجد أن البحوث التي تدرج ضمن الخانة الرابعة قليلة، أما الخانة الخامسة فحدثت عن الثورة ولا حرج.

مما يعني أن صورة الآخر في الكتابات التي تدرس في مقررات تاريخ الأدب تكون في أغلبها إما تطبيقية أو تشريعية، أو تفسيرية؛ تقرر الواقع وترصده كما هو. وفي حالات نادرة جداً تكون توفيقية، ولذلك فإن الباحثين الجادين الذين يريدون بالفعل البحث عن تجليات هذا النموذج المعرفي التعارفي في الدراسات والأبحاث والكتابات المختلفة سيحسون فراغاً كبيراً.

كيف يمكن إذن أن نطمح للقيام هذه التأسيسات ضمن الخانة التعارفية في المقررات التي تدرس لتطبيقية، وفي التكوينات التي تعطى للتفاوض أو تعطى للأزمة أو للحاجات، أو لأهل أديانات الأخرى؟ كيف يمكن أن نوصل البعد التعارفي إلى هذه التكوينات لكي لا يبقى بعداً شعائرياً، ويصبح واقعاً حياً معيشاً؟ إن هذا يصعب أن يتأتى بغیر المقاربة الراهنية المحلصة سعي إلى استخلاص وتحرير البحث العلمي من الشواهدية (أي طلب الشهادات)، ومن التبعاتية الجامدة وكذا من التوطيقية؛ فالمقاربة الشواهدية للدراسة والبحث قد حثت على البحث العلمي ما حثت، وهذه قضية تحتاج للعلاج من النواحي المنهجية والتوجيهية وكذا التشريعية.

أما القضية الثانية التي تستدعي العلاج فهي النفعية؛ فالمعاهد العلمية تحتاج -من أجل البحث- إلى تمويل، غير أن هذا التمويل غالباً ما يكون مشروطاً؛ فأكبر مؤسسات الدعاة تقول للباحث، بطريقة أو بآخري: إذا أردت أن أعطيك هذا الدعم أو هذه المنحة البحثية فيجب أن يستضيف بحثك لحمة من المؤاصفات





## يا دنيا العجوز

إلى العجوز ركبت، وفي الموت رغبت..!  
لكنّ بطلك لا زال ولأدّ،  
ورجلك لا زالت معطاء..!  
فالشجر الباسق، والنور الراقق،  
من جوف الظلام آت..  
فالظلم إذا اشتدّ انفرج،  
والبلر إذا أثرب انمر...  
ودورة الحياة عليك ستدور،  
وبأنفاسها من جديد ستقومين،  
ورسالتك العمروانية ستؤدّين..!

\*\*\*

الرياضية التي أوتعها "أما"، ومن ثم فإن الأبحاث والأعمال التي تنح  
في هذه الإطارات تدخل ضمن الخاتمة الوظيفية بامتياز. وهو الأمر  
الذي يجب تجاوزه بإدخال بُعد العمل الاجتماعي في العمل البحثي.  
إن كثير من الناس لا يتصورون العمل الاجتماعي خارج الأمور المتعلقة  
بالمجاعات والكوارث وقضايا اجتماعية كالصحة على سبيل المثال،  
بند أن العمل الاجتماعي في المجال البحثي محوري أيضا وبالنسبة الأهمية.  
واعتماد المقاربة الرهانية يقوم على ركبتين:

الركن الأول: وهو عود على ما ذكرناه في مطلع هذا المقال،  
ومسألة: وبحسب إدراك أن هذا الكوكب الأرضي كوكب محدود،  
وأن محدوديته تفرض التعايش، وأن هذا التعايش يجب أن يكون تعايشا  
مستداما، ولكي يكون كذلك فلا بد أن تكون لدينا القدرة على  
معرفة الآخر وفهمه، وأن نعنيه أيضا على معرفتنا وفهمنا من خلال  
التواصل معه حتى نستطيع التعامل والتعايش والتعاون الإنساني على الر  
والثقوى.. فحينما نستطيع تخيلنا أن بره على أن هذا الخيار لا يمكن  
التخلي عنه، وأنه أمر ضروري وشرط لا محيد عنه من أجل كل تعايش  
إنساني وبناء لنا مجتمعين فوق كوكبنا، فسوف نكون قد برهنا بالفعل  
على ضرورة القيام بالبحث والدراسة والحوار ضمن الخاتمة التعارفية.  
أما الركن الثاني: فهو الركن الوظيفي، والذي يدرس التاريخ  
سوف يجد الشواهد المتعددة على وظيفة المقاربة التعارفية؛ حينما  
سادت هذه المقاربة في بغداد كان فيها من الازدهار ما كان، وكذا  
حين سادت هذه المقاربة التعارفية في قرطبة وفي أصفهان وخراسان  
وسمرقند ودلي وغيرها... وحلي أن الانتصار للحاجة هذه المقاربة لا  
يحتاج إلى كثير مراقبة، فمن إن لم تعايش سوف نموت فرحنا ضحمة  
للباء للمشرك، وإن لم نحمل فقد يدمر بعضنا بعضا.. في حين أننا إن  
تعايشنا لرددها جميعا، واستفاد بعضنا من بعض، ونفع بعضنا بعضا...  
وإن صحّ لنا -الحقرا في استمرار البحث في هذه القضية  
المحورية- أن نقيم بسؤال، فليكن هو الآتي: كيف المسبل إلى تعميم  
هذه المقاربة التعارفية في الجوانب البحثية والتكوينية وتجاوز العادات  
والمارسات السلبية أو السلبية التي لا تزال هذا الصدد سرور في  
مهاقلنا الخوارية وفي حياتنا.

١٤- الأمين العام للرابطة للتوحيد للعرب.



# بياض اليقين

عبد العزيز القفاط\*



أَفْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ  
أَصْعَدُ مَعْرَاجَ رُوحٍ رَأَتْ مَوْتَهَا  
قَبْلَ أَنْ يَسْتَحْمُ غِبَارُ الْمَدِينَةِ  
فِي الْحَقْبِ،  
بَحْتَارُهَا زَمَنٌ  
وَمَكَانٌ بِلَا رَغْبَةٍ،  
وَيَكُونُ لَهَا جَسَدٌ  
وَلِسَانٌ وَعَبَانٌ،  
كَأَنَّهُ تَرَى،  
وَتَتَوَخَّ وَتَشْكُو،  
رَأَتْ كَالنَّارِ بِمَحْرُوكٍ فَوْقَ هَدِيرِ الثَّرَابِ،  
وَيَحْمِلُهَا بَيْنَ جَنِبَيْهِ..

يَجْرِي بِهَا نَارَةٌ فِي حَرِيرٍ مِنَ الضَّوءِ  
مَعْمُورَةٌ بِظِلَالٍ مِنَ الْعَطْرِ،  
يَجْرِي بِهَا نَارَةٌ فِي كَهْوفٍ مِنَ الرَّغْبِ  
مَبْلُتَةٌ بِصَقِيعٍ مِنَ الْخَوْفِ،  
شَارِدَةٌ ذَاهِلَةٌ.

أَفْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ  
أَصْعَدُ مَشْيُئًا فِي أَرْعَافِ الْقَصِيدَةِ،  
أَخْلَعُ عَيْتِي سَلِي عَجَلٍ -  
جَسَدًا أَرْهَقْتَنِي مَخَاوِفَهُ  
وَلَوَازِغَهُ،  
أَوْجَعْتَنِي الظُّلُمَاتِ  
حِينَ يَعْتَقُ أَهْلَهُ الْحَزَنَ  
حِينَ يُدَارِي مَغَامِرَةً لَا تَلِيْقُ بِهِ،  
يَا وَلَقِينَ طَوْلُونِيَا

وَصَبَانَا  
وَمَاوَى الْكُهُولَةِ،  
يَا أَنْتَ يَا جَسَدِي..

كَيْفَ أَهْلَقْتَ نَافَذَةَ الرُّوحِ  
أَطْفَافَاتٍ أَعَذَّبَ مَا فِيكَ،  
أَعْمَصَتْ قَلْبِكَ،  
فِي خَدَقِي مَلْعَمٌ بِالْعَوَايِدِ،  
الْقَيْثُ كَثُرَ هَوَاكَ  
وَلَمَّا غَسَقَ لَا فَنَادِيْلَ فِي سَقْفِهِ،  
تَتَخَيَّرُ،  
تَفْعُافُ أَحْلَامَكَ الْفَاضِلَةَ؟  
أَفْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ،  
أَسْأَلُهُ عَنْ عَدُوٍّ مِنَ النَّاسِ  
كَأَنَّهُ صَدِيقِي،  
وَأَسْأَلُهُ عَنْ صَدِيقٍ مِنَ النَّاسِ  
كَأَنَّهُ عَدُوِّي،  
وَعَنْ كَتَبٍ كَثَّ أَقْرَأَهَا،  
فِيْزِيدُ بِفَضْلِ الْقِرَاءَةِ جَهْلِي،  
وَعَنْ بَلَدٍ كَثَّ أَحْسَبُهُ وَطَنِي  
وَأَرَى فِيهِ أَهْلِي،  
وَجُدْرَانِ بَيْتِ عَمِّي  
يُسْتَبِجُهُ الشُّوقُ وَالْحَزَنُ،  
عَنْ طِفْلَةٍ  
كَثَّ أَحْسَبْتُ عَطَرَ جَدَائِلِهَا  
وَأَرَى فِي ابْتِسَامِهَا عَالَمًا  
فَاتِنَ الْقَسَمَاتِ،

وَأَسْأَلُهُ...  
أَيْنَ بَعْدَ الدُّبُولِ  
يُرَوِّحُ الْجَمَالَ؟  
وَأَيْنَ مَصِيرُ الْعَيُونِ  
الَّتِي كَانَتْ فِي طَرَفِهَا حَوْرٌ  
يَقْتُلُ الْعَاشِقِينَ؟  
وَمَاذَا جَرَى عِنْدَ سَلْبِ الزَّمَانِ  
لنَرْجِسِ أَحْلَامَنَا  
وَعَوَاطِفُنَا الذَّابِلَةَ؟  
أَفْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ  
لَمْ يَبْنَ خَلٌّ، وَلَا حُلٌّ،  
كَانَتْ الْأَرْضُ سَاطِطَةً  
وَالْقَضَاءُ غَرِيبًا،  
وَلَا نَبْضَ لِلْكَاتِبَاتِ..  
كَأَنِّي الْوَحِيدُ الَّذِي نَسِيتُ فِرْوَنَ  
مِنَ الْمَوْتِ،  
أَخْفَتُهُ فِي كَهْفِهَا الْكَلِمَاتِ،  
وَلَمْ يَلِدْ أَنَّ الْقِيَامَةَ قَامَتْ،  
وَأَنَّ جَمِيعَ الْخَلَاقِ فِي لَبِئَةِ الْأَمَلَةِ..  
وَيَلَا..

إِنِّي أَفْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ  
أَقْرَعُ أَبْوَابَهُ  
بَدْمُوعٍ تَكْشُرُ مَرْمَرَهَا  
فِي مَحِيطٍ مِنَ الظُّلُمَةِ الْقَاتِلَةِ.

\* أستاذ الأدب العربي في قسم اللغة العربية، جامعة صنعاء، اليمن.

# الإنسان

## بين الشيطان والقرآن

واسرعت أطري بحار الظلمات حتى لحقت به، وسلطته كُلُّ فكرٍ مُطْفِئ، وأبدلته هي ذلك حَشَوًا هائلًا من ترهات الأفكار التي لا تتسجد دهنًا، ولا تصيء وحدانيًا.. قعد كُلُّ هذا الذي فعثه لقلبك -يا إنسان- تنهم عينك لك، وإحلاصي من أحلك.. فما أَقَلَّ وهانك، وأكرم غدرك!..

### القرآن

يا إنسان!.. يا موضع نظر آياتي، يا قطعة من روح كلماتي، يا قلًا نازلًا من فرق سبع سموات، يا مأوى حكمتي، يا نعم سمائي، يا مقبلاً في شأيا ضميري.. باسلك دعوتك، وأبوابك لك فتحت، والأندية إليك أَرْجِحت، وألقاها من روحي في روحك أشعلت، ولعني لك ضلّلت، وأزليتك لك أقرأت!..  
مَحَصُّكَ قلبي ليحفظ في قلبك، وأقرّنتك عيني لصر في عينك..  
فاشترَ شُحُوكَ، وأكثَمَ وجَعَكَ.. فقلبك السلب آه، وروحك الشريد إليك عائد.. لا تُلغ، ولا تَذُبْ أُمِّي وحسرة، قلن موتَ روحك ولو بانَّتْ تَعَدَّتْ أَلْفَ مئة في حديم الشيطان.. ولس تصهر البراك حوهر داتك ولو سَلَطَ عليه الشيطان كُلَّ صواظات دهنه المجهتسي.. يخطئ اللعين إذا هو ظنَّ أَنَّ الملاك مقدور لك ولا مناص لك منه!..

تُحَدِّثُ -يا إنسان- فأعرك مسوري، وأحملك عموري، وأنسرك عليك رحمتي، وأرتعج بروحك، وأجعو بعقلك، وأزهد حبسك، وأعذب شعورك، وأحرّك من قِيَدَي زمانك ومكانك، وأنقذك من القاء، وأصل حَتَلَك بعل السماء، وأنتك من العدم، وأهديك الوحسود، وأصلصك من الزوال، وأدفعك إلى المخلود.. وأحملك كوني السَّعة غَالِسي النظر، إنساني السزوع، عظيم النفس، أعلامي السلوك، مُتَّعِد القَدَات، لا تَتَحَقُّ أبداً، ولا تقادم سمرذا.. شباك داتم، وروحك لا تشيح، وقلبك لا يتلّى!.. ■

٤٠ كتاب وأديب عراقي.

### الإنسان

من فاع الهوة شمع صرت إنسان صارخاً مستنجداً..  
ضاع قلبي، مَنْ على قلبي يَدُلُّني؟  
تأه روحي، مَنْ على روحي يرشدني؟  
وعلى نفسي بكث نفسي، فَمَنْ يجمع دمع نفسي؟  
وعلى نوعي ناحت نوعي، فَمَنْ يَهْدِي نَوْحَ نوعي؟  
وتَحَرَّني هاجت أني، فَمَنْ يسمع أني ويَفْرَحَ كربني؟  
ويومي لقيط بين الأيام لا هوية ولا تَسَب، فَمَنْ لِي برد هويي  
وللي نسي يَنْشِي؟..  
نومي أرق، وليلي قلق، وفي حقي والعزات عرقات حادحات...  
وأنا شح شاحب تطويبي الغواسق، واليالي الكواخ، تانها كالأح بقود حطام سفيته إلى شاطئ بعيد المنال يغشاها الغضاب والسراب والفوحس والحرف!..

### الشيطان

وبك يا إنسان.. ما أحفلك وأتعسك.. صوت عدايتك حَكَّ سمع الأرضين السمع، وعربك قر -في الأسافل- الظلمات من تحت أبنيا للتلخل "ابليس".. ما حطيك!؟ وأني داهية دهاء حلت بك وقلت كيانت!؟

تتسنى قلبك فلا تتعد.. حساً لا تزع.. هو عندي ومعتني، تاديتي أعربتي، فأتاني علي عجل.. وعلى عجل أحررت به إلى عروالي الشيطانية لأشبهه وأنسبه هَم نفسه.. فسقيته من كؤوسي، وأكثرتني من شرابي.. حتى دار عقله، وانتشيت له، وعاف عن نفسه، وضل عن ذاته.. ولقد اقتحمت حُمُومته وهالتي ما تردحم به من عظيم الأفكار.. وبفحة واحدة طار كل شيء ومبارت فارغة تعصف بها الأهواء.. لقد مررت بكل الأرمية، والشقيت "الإنسان" في كل مكان، ولم أدهش لنسبي دهنتي للفكر المستولي على القلب البشري كيف يتحول إلى شعلة متوقدة في دم الحضارات، وكيف يعدو معراج ارتقاء وسُلم شُمو للإنسان.. فجز ذلك في نفسي، فشتقت الأرض عوبلاً وصراخاً،

## القرآن العظيم وقضية الأمة

أ. د. فريد الأنصاري\*

الذي قال: ﴿لَوْ مَا قَدَّرُوا اللَّهَ حَتَّىٰ قَسِيرَهُ وَالْأَرْضَ حَبِيقًا فَتَضَعُهُ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتِ تَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا  
يُشْرِكُونَ﴾ (الزمر: ٦٧). إنه الكلام الذي لم يملك قبله الخلق إذ سمعوه  
إلا أن: ﴿قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْزِبِينَ \* قَالُوا  
يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ تَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ  
يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ وَيُلْهِىٰ طَرِيقَ الْمُسْتَقِيمِ﴾ (الأحزاب: ٢١-٢٠). وقالوا:  
﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا \* يَهْدِي إِلَىٰ الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرَكَ  
بِرَبِّنَا أَعْدَاءُ﴾ (النحل: ١-٢).

قوة غيبة أقوى مما يصوره أي إنسان

إن كلمات هذا القرآن - لعل تعلمون - قد تولدت من السماء

إن السلام العالمي لن يكون إلا وليد البر الإلهي،  
النور الذي يشرق في قلوب المؤمنين بالحجر  
والجمال؛ عما يسكبه القرآن في وجدانهم، من  
معاني الحق والعدل والحكمة ودون ذلك معركة يوجهها القرآن  
بكلماته ضد كلمات الشيطان، وإلا بقيت البشرية اليوم تعصف  
حلاقيتها بفاكهة آدم إلى يوم الدين. والقرآن وحده يكشف  
شجرة البار ويكشف هاكيتها للعلمنة.

إن هذا القرآن كلام غير عاد عماماء، إنه كلام حارق قطعا،  
ليس من إنتاج هذه الأرض ولا من إنتاج أهلها، وإن كان عليهم  
تنزل ومنسأ لهم تلي في الأرض. إنه كلام الله رب العالمين،

مهمة بقوة غيبية أخرى مما يتصوره أي إنساناً لأنها حامت من عند رب الكون، تشمل الكثير من أسرار الملك والملكوت، وهي جميعها مفاتيح لتلك الأسرار بما فيها من عوارق وبوارق لقوى الروح القادرة من عالم الغيب إلى عالم الشهادة. وتدر قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِلَهٌ مُنْجَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ خَابُوا مَقْلَبًا وَّزُورًا﴾ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً ﴿قُلْ إِلَهَ الَّذِي يَخْلُقُ السَّمْعَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَوْرًا رَحِيمًا﴾ (صافات: ٢٦).

إن الذي يطى أنه عندما يقرأ القرآن يقرأ كلاماً وكفى، فمضي كلماته مع الهواء كما تمضي الأمشاط مع الريح، فإنه لا يقرأ القرآن حفا ولا هو يعرفه ثباتاً.. وإنما الذي يقرأه ويتلوه حق تلاوته إنما هو الذي يرتفع به، ويعرج عن معارجه العليا إلى آفاق الكون، فيشاهد من خلال الملكوت ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وهائل يتكون ومن هائل يتزود. فاه تم آه لو كان هؤلاء المسلمون يعلمون! وصدق الله جل وعلا إذ قال: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (س: ٣٠). نعم؛ يا حسرة على العباد! أوليس كلمات الله هي التي امتدت من هذه العبارات التي نزلها إلى أعماق مما يمكن أن يتصوره الخيال، وأبعد من أن يحيط به تصور بشري من مجاهيل الوجود؟ ألا تقرأ في كتاب الله ذلك صريحا وهيباً هائلاً إذان. ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالشَّجَرُ يَسْهُدُ مِنْ بَعْدِهِ سِتُّةَ أَسْحَرٍ مَا نُبْدِثَ كَلِمَاتٍ إِلَهُ إِلَّا اللَّهُ غَرِيبٌ حَكِيمٌ﴾ (صافات: ٢٧). ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ مِمَّا دَاكِلُكَلِمَاتِ رَبِّي لَكُنَّا مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ (س: ١٠٠).

### من اليقين إلى التمكن

فأليس ينتهي هذا القرآن إذن؟ إنه لا ينتهي أبداً. ويعلت يا صاحب! أليس تعلم أن كلاماً للملك صفة مس صفاته؟ ومن كانت صفات الله لها نهاية؟ وهو حل جلاله، وعز سلطانه رب العالمين، المحيط بكل شيء. فكيف إذن بمن تخلق هذا القرآن وتحقق به في نفسه ووجدانه، وصار جزءاً حقيقياً من حركة القرآن في الفعل الوجودي، وهذا القرآن تلك صفته وحقيقته؟ أوليس حفا قد صار جزءاً من الفعل الإلهي، الذي لا يتخلف موعده أبداً؟ أوليس قد صار حديقاً بالفعل من جنود

الله، مدوداً بسر ملكوت الله في السماء وفي الأرض؟ يحمل وسام النصر المين من اليقين إلى التمكن. وهذا عربونه بين يديه الآن: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ ﴿وَأَنَّ خَلْقَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (صافات: ١٧٦-١٧٧). وتدر كيف أن "كلمته" تعالى هي فعله القدرى الشافق حصاً الواقع أبداً. فلك أن كلام الله فوق كل كلام، إن كلامه تعالى خلق وتكوين وإنشاء. إنه صُنع فعلي للموجودات والكانات جميعاً.. من المفاهيم إلى الذوات، ومن الدرات إلى المحرات. وتأمل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿فَبَشِّرْهُمُ الَّذِي يُبَدِّلُ مَلَكُوتَهُمْ كُلَّ نَفْسٍ وَابْتِغَاءً تَرْغُوتُونَ﴾ (س: ٨٢-٨٣). إنه -جل وعلا- يأمر العلم فيكون وجوداً، فيمكن أن تتعلق إرادته بوجود الشيء ليوجد بالفعل. وإنما كل فعله تعالى في الخلق والصنع والتكوين مجرد "كلمة"، إما فعل الأمر: ﴿كُنْ﴾ (الامر بالتكوين والتكوين، والتخلي من العدم إلى الوجود.

إن كلماته تعالى لا تنضب سدى في الكون، إنها مجرد ما تصدر عنه -حل شأنه- تنشأ عنها ذوات وحركات في تدوير حنون المثلث والملكوت. إن كلامه تعالى إذن خلقت وتقدر، وأمر وتدير. ومن هنا كان وصف الله لعيسى عليه السلام -كما سبق بيانه- بأنه "كلمة الله": ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْثَمٍ وَزُورُوحٌ مِنْهُ﴾ (س: ١٧١). وإما جاء ذلك في سياق الرد على الذين زعموا أنه <sup>عليه السلام</sup> ابن الله -تعالى الله عن ذلك فليك علوا كبيرا- فقلوه: ﴿كَلِمَتُهُ﴾ دال على أنه يعلمي إرادة الله من الخلق والتكوين! وهو ما يتيه تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَأَنَّ مَثَلُ بَعْسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٥٩). ومن هنا كانت البشرية لمريم "كلمة" كلمة عسوت حرى التاريخ، وبنت صرحاً شامخاً في تاريخ النبوة! قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْثَمٍ وَجِهَاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (آل عمران: ٤٥). فكان المسيح <sup>عليه السلام</sup> هو الكلمة! القضية إذن هي في: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ إله "كلمة الله". فكلام الله تعالى هو التعبير عن إرادة الخلق والتكوين، والتعبير عن قضائه الرباني وقدره الوجودي، وإن هذا القرآن العظيم هو ترجمانه الأولي، ودستوره الأبدي!

## المخلوق بالقرآن من جنود الله

مِنْ شَيْءٍ ﴿٣٨﴾ (النمل: ٣٨). قال: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾  
وإنما جاءت الآية في سياق الخلق والتكوين لا في سياق التشريع  
كما توهم بعضهم! فهو يقول أوسع من مجرد الأحكام والحدود  
بكثير، يقول يسع العمران البشري كله، بل يسع عالم الملك  
والملكوت بما امتد إليه من غيب مجهول!

## الدلالات الرمزية لقصة موسى عليه السلام

إن القرآن عندما يأخذه اللين ﴿يَتَلَوْنَهُ حَتَّى يَلَازِيَهُ﴾ (النمل: ١٢١)  
يكون بين أيديهم نوراً يبدد ظلمات الضلال، ولزوالا  
تخسف بحصول الإثك والدجل أن كانت، ومهما

كانت! وأقرأ قصة موسى مع سحرة فرعون  
فإن فيها دلالة رمزية عظيمة على ما  
نحس فيه، في خصوص زماننا هذا!  
ذلك أن "كلمة الباطل" كانت  
تظلمها آنك ومزومات السحرة،  
فتحدوا لحرب كلمة الحق  
التي جاءها موسى، وبخاصة  
للعركة على الملح نفسه الذي  
يستعمله الباطل اليوم، إنه منهج  
التكتلات والأحلاف! تماماً كما تراه  
اليوم في التكتلات الدولية التي تقودها دول

الاستكبار العالمي ضد المسلمين في كل مكان!  
اقرأ هذه الكلمات مما حكاها الله عن سحرة فرعون  
لما قالوا: ﴿فَأَخْبِئُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ  
اسْتَعْلَى﴾ (٢٥: ٢٦). إنه إجماع على الكيد، كهذا المسمى في الشعر  
الإعلامي المعاصر: "الإجماع الدولي" و"الشرعية الدولية"  
والمواجهة لا تكون إلا بعد جمع كلمة الأحلاف وصنع الائتلاف؛  
لمحاصرة الحق من كل الجوانب ﴿ثُمَّ أَتُوا صَفًّا﴾ ثم يكون توريط  
للمشاركين وتوريطهم في الغزو بصورة جماعية، ولو بصورة رمزية!  
وذلك لتعريف عن "الصف" في اقتراف الجريمة، فيترقب دم المسلمين  
في القبائل! قالوا: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ وتلك والله غاية  
دول الاستكبار العالمي الجديد، التي يصرحها تصريحا: السيطرة  
على العالم بالقوة والتحكم في مصادر الحسرات والثروات!  
ولكن أين أنت أيها الحق القوي القرائي؟

وعليه: فإنك إذ تتلحى بالقرآن وتحقق معانيه تبعت أنت  
نفسك جندياً من جنود الله! بل أنت أنتد جزءاً من قنر الله!  
وتدبر كيف جعل الله من أتباع موسى عليه السلام أداة قنرية شق بها  
الحرأ تأمل هذا جدياً: ﴿وَإِذْ قَرَّبْنَا بَيْنَكُمْ أَلْأَمْرَ فَاتَّخِذْنَاكُمْ وَأَعْرَفْنَا  
أَلْأَعْرَفُونَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (النمل: ١٠). فآله عليه السلام فرق البحر بين  
إسرائيل لما كانوا مؤمنين، و ثم تكن عصا موسى إلا أداة للفرق،  
أما العامل الفاعل - بإذن الله - وإنما هو عزائم الإيمان التي

استعملتها كثير من أتباع موسى فكانوا جزءاً من

المخارقة نفسها ولم يكونوا غيرهما فتأمل: ﴿وَإِذْ  
قَرَّبْنَا بَيْنَكُمْ أَلْأَمْرَ﴾ هكذا: ﴿بَيْنَكُمْ﴾ وليس  
"لكم"! وإن كان معنى هذه متصفاً

في الأولى، ولكن المقصد بيا أن  
العبد إذا صار ولياً لله كان أداة  
بين يدي الله - سبحانه - في  
تففيذ قسنوه في التاريخ! وأقرأ  
إن شئت ما ورد في الحديث  
القدس: "من عادى لي ولياً فقد  
آذنته بالحرب" إلى قوله عنه: "فإذا  
أحبته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره  
الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله  
التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني  
لأعيذه". (رواه البخاري).

ألا يا حسرة على العباد حقاً وعلى هؤلاء المسلمين بشكل خاص!  
وإذاً فإن هذا القرآن لو صرته أهله حركة في الأرض لكان  
أقوى من أن تلبث أمنه كلمات الشيطان وسحر الإعلام، بل  
هو الحق الذي قال فيه الحق عليه السلام: ﴿قُلْ تَقَالِبْ بِالْحَقِّ عَلَى أَلْبَابِي  
فَيَنْتَعِمْ فُؤَادُ مَنْ رَآهُ﴾ وَلَكُمْ لُزُلٌ مِمَّا تَصِفُونَ (الأنعام: ١١٥). لا  
طاقة لكهايا السياسة برهانه! ولا قبل لدجاجة الإعلام بسلطانه!  
ولا ثبات لطاغوت الأرض أمام رحاله! ﴿وَإِذْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ  
عَلَى حَبْلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعَةً مُتَصَدِّعَةً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ  
نَضَرْنَاهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (الشورى: ٢١). وكيف لا! وهو قد  
جاء بفهرست الوجود كله! كيف وقد شذّر مدبران الكون  
كله! وإن ذلك لفعل الحق جل علاه: ﴿مَسَا وَطَنًا فِي الْكِتَابِ

أتى هنا... اقرأ قصة القصة وتأمل: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا أَنكَّرْنَا بِمَا تَكُونُ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ قال بل ألقوا فإذا جنّاهم وعصيتهم يُخَلِّلُ إِلَهُ مِنْ سِخْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْمَعُ فَاؤْحَسُ فِي نَفْسِهِ حَيْفَةَ مُوسَى ﴿فَلَمَّا لَا تَخَفْ بِأَنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى﴾ وألقى ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيدَ ساحرٍ ولا يُلْقِي السَّاحِرُ شَيْئًا إِلَّا مِمَّا يَفْتِخُ فَنَافِرُ خَيْثُ أَتَى ﴿وَهُدُودُ ٦٩﴾. إن القرآن الذي بين يديك أحد قوّة من عصا موسى قطعاً! فلا تبتس ما يلقون اليوم من أحاديث ثقافية وإعلامية وسياسية خدّار خدّار! وإما قل لهم: ﴿بَلِّ الْقَوَامِ...﴾ وتلق عن الله كلماته بقوة، أعني قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا لَا تَخَفْ بِأَنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى﴾ وسادو إلى إقائنها بقوة، كما تلقينها بقوة: ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُلْقِي السَّاحِرُ شَيْئًا إِلَّا مِمَّا تَشْتَلِي﴾. إن كلمات القرآن عندما تُشْتَلَى بمعناها تصنع المعجزات! فإذا تَلَقَّيْتُ بقوة أزلت الخيال الرواسي، من حصون الباطل وقلاع الاستكبار! ولذلك قال الله لرسوله محمد بن عبد الله ﷺ: ﴿وَبَلِّ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل: ٢٦). وأمره بعد ذلك أن يجاهد الكفار بالقرآن جهاداً كبيراً وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾ (سُورَةُ بَنِي إِسْرَافِيلَ: ٥٧). وللقصود بمجاهدة الكفار بالقرآن: مواجهة الغزو الثقافي والتفصيل الإعلامي بمعانيهم القرآن وحقائق القرآن. إن تلك الثقافة وذلك التفصيل هما اللذان يبعلا الشعوب تقبل أن يكونوا حقولاً لتجريب أحداث ألسنة الدمار والخراب! إن العبد لا يكون عبداً تحت أقدام الجلاّدة! إلا إذا آمن هو أنه عبداً! ووطن نفسه للعبودية! مستحيها بصورة لاشعورية لإرادة الأقياء. وذلك هو السحر المبين. والقرآن هو وحده البرهان الكاشف لتلك الخديان، من تلقته النفس حرحت بقوة من الظلمات إلى النور. فما له من سلطان لو قام له رجال!

إن للشكاة الآخرين فعلا يلقون ما بأنعامهم، فقد ألقوا اليوم "عولمتهم"، لكننا نحن الذين لا تلقى ما في أيماننا، وبقي المشهد -مع الأسف- عند قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا جَنَّتَاهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ يُخَلِّلُ إِلَهُ مِنْ سِخْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْمَعُ فَاؤْحَسُ فِي نَفْسِهِ حَيْفَةَ مُوسَى﴾ (هود: ٦٦-٦٧)، لم لا يكتمل السباق، وتلك معيشتنا في هذا العصر.

### كلمات القرآن تصنع الرجال

نعلم، إن كلمات القرآن -عندما تؤخذ بحقيقتها- تصنع رجالاً لا

إن كلمات القرآن هي السلاح الوحيد لمواجهة تحديات هذا العصر، إنها تتحدى اليوم -كما ترحس به من قوى غيبة- العالم كله، فهل من مستجيب أو هل من مأسور؟ ﴿قُلْ لِّمَنِ الْخَسْفُ الْإِنْسُ وَالْجَنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (الاسراء: ٨٨). إنها كلمات تصنع كل ما يدور عيناك من أسباب القوة والمعة، من الإنسان إلى السلطان. ذلك أما إذا تحررت نورها بصيرة العبد المتعلق بالقرآن، لتدبر آياته العظيم، والمتحقق بحكمته جعل منه هو نفسه سلاحاً يمسح طامات العصر ويكشفها كشفاً، وبرهاناً يدمغ باطل هذا الواسل الإعلامي الذي يهطل بالمصطحات لغرض، والمفاهيم المخرية للمخسرون الوجداني والثقافي للأمة، عما بين من الوجدان الفردي للإنسان ما لا طاقة لوسائل التدمير لنادية والمعوية معا -مهما أوتيت من قوة- على تغييره أو تفتيته. ثم هو -في الوقت نفسه- بين النسيج الاجتماعي للأمة، وبقربه كما لا يدع فرصة لأي عخطب إعلامي مصاد أن ينال منه، ولو جاء بشر الخطاب وأسد الخراب، كلمة وصورة وحركة!

### القرآن سر الكون ومعجزة القضاء والقدر

إنه القرآن، سر الكون ومعجزة القضاء والقدر، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ حَيْثُما قَتَصْتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الزمر: ٦٧). هذا الرب العظيم -لو أنت تعرفه- إنه يتكلم الآن، ويقول لك أنت،

نعم أنت بالذات، لو أنت تستقبل خطابه: ﴿إِنَّا سَنُلْقِيْكَ فِيْهَا نَفِيْلًا﴾ (الزلزال: ٥) فافتح صناديق الذخيرة الربانية بفتح قلبك للبلاد الفرائي وكن منهم: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَسَالَاتُ اللَّهِ وَتُحْشَرُونَ وَلَا يُحْشَرُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ وَكُنِيَ بِاللَّهِ حُسْبًا﴾ (الأعراف: ٣٩)، إذن تتحول أنت بنفسك إلى خلق آخر تماماً، وتكون من "أهل القرآن" أو تدري من هم؟ إهم "أهل الوعد" وما أدراك ما "أهل الوعد"؟ إهم تاروق فتوبة من: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا جُلُودَ النَّبِيِّ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ (الاسراء: ٥٥) أولئك "أهل الله" وخاصة (رواه أحمد والبيهقي وابن ماجه)، وأولئك أصحاب ولايته

العلوي، الذين ترجمهم رسول الله ﷺ بقوله فيما يرويه عن الله ذي العظمة والجلال: "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب" (رواه البخاري)، ذلك وكفى.

وليس من معصود لهم إلا كلمات الله.. هي العمل، وهي الراد، وهي قوت الحياة، وهي المشاهج، وهي البرنامج، وهي الخطة، وهي الاستراتيجية، وما تستهلك دوماً من الكلام إلا ﴿تُحَرِّفُ الْقُرْآنَ حَرْفَهُنَّ﴾ (الأنعام: ١١٣) وليس عبداً أن العرب لما سمعتهن تتلى فرعت، فصاحت:

﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الصافات: ٣٦). إنه المنهج نفسه الذي يتعامل به المعرضون

اليوم مع القرآن، وهو الأسلوب المخادع عيه الذي تستعمله كل وسائل الإعلامية، بما فيها تلك الأشد فكا وصراوة: المضامينات المشاهدة الكبري وإنه خطأ كبير ذلك الذي ماوراه بعض المحصلين للإسلام، من بعض دعائه عندما يفتون بتحريم صحتون الاستقبال الفصائي، أو يطرد جهاز التلفزيون من البيت أو تكسره! وما كانت عبارة الوسائل حلا ناجحاً لدفع البلايا فقط في التاريخ، وإنما كان أولى بأولئك أن يدعوا إلى إدخال القرآن إلى البيت، وأن يجاهدوا لجعل تلك الصناديق محال قرآنية مفتوحة في كل بيت، إن البيت الذي يسكنه القرآن لا يدخله الشيطان أبداً!

## أعط الشعوب فرصة للاستماع للقرآن

وكأنما ينو -عندنا أقرأ لبعضهم أو أستمع له، وهو يرم جهاز التلفزيون، أو يعطر وسائل التفتي الأخرى من الفضائيات إلى الأخرى- أننا في حاجة إلى تجديد الثقة بالله أولاً عجباً! ومن كان عسى أضمن من حد القرآن؟ نعم، قبا من تلعب الظلام في الظلام! إنما كان يكفك أن تشعل زر البور فقط.. أشعله من حرارة قلبك ووجدانك، ومن تاربع إيمانك! أذجل القرآن إلى البيت بقوة تر بنفسك غطسة الإعلام -هذا القول الذي أفرع لعالم وثبط عرائسه- تتحطم بين يديك، كما تحطمت من قبل أوهام سحرة هرعون تحت عصا موسى، وتر كيف أن

إن

## كلمات القرآن عندما

### تؤخذ بحقها تصنع رجالاً ولا

كأي رجال، إنها تصنع رجالاً ليسوا

من طينة الأرض. ذلك أنها تصنع الوجدان

الفردى والجماعي والسلطاني للإنسان، على

عين الله ووحيه، فيخرج من ذلك

كله قوم جديرون بأن يسموا

ب"أهل الله وخاصة".

أهم: ﴿إِنَّمَا صَبَّأُوا كَيْدَ سَاحِرٍ وَلَا يُلْقِي السَّاحِرُ كَيْدًا أَشَى﴾ (الزمر: ٢٤) أدخل القرآن نفساً ثبلى، وآيات تتدأرس، وحرمة حبة تلاء كيان الأسرة كلها، وتعم وحدانها، وحالا ونساء وأطفالاً، اصنع ذلك تر عجباً! تر كيف أن الأطفال الصغار -من أسرة القرآن- يرفعون راية القرآن عالية، عالية في السماء. وإن ذلك لعمري هو عين التحدي الذي جاء به هلاً القرآن، لمن كان يؤمن حقاً بالقرآن، وما يزال اليقين الذي يعرض به القرآن خطابه الغلاب برفع التحدي منذ عهد رسول الله ﷺ إلى اليوم، بسل إلى يوم القيامة. إنه يقول لك: أعطني فقط -فرصة لأخاطب الناس.. أو بالأحرى: أعط الشعوب فرصة للاستماع لهذا القرآن؛ قال حل وعلا: ﴿إِن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَحْزَنَكَ فَأَجْزُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّقَ اللَّهَ مَأْمَنَةً لَّكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ٦٥). نعم، "اليسمع" فقط، ألا إن هذا هو عين التحدي، ذلك أن كلماته كيلة بإخراج الحياة متدفقة بقوة من ظلمات اللوات. ذلك أنه أقوى حقيقة واسعة في هنا الكون كله، ذلك أنه القرآن كلام الله رب العالمين! وتلك حقيقة لها قصة أخرى. فلا علة إذن لن واجهه القرآن المين، لا غلبة له البيت، وإنما هو من المزهومين بكلمة الحق القاصية عليه بالخسران إلى يوم



القيامه، ﴿قُلْ لِلدِّينِ كَفَرُوا سَقَطُوا وَنُحْشِرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسُورُ الْجِهَادُ﴾ (المراد: ١٦٢). وقيل لعنوا الإيمان حامل راية القرآن: ﴿لَا يَغُزُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ \* مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا أُوَاهِمُ جَهَنَّمَ وَيَسُورُ الْجِهَادُ﴾ (المراد: ١٦٦-١٦٧). هكلا أساطيل الطلبة، وما غارسونه من عطرسه وتقلب في البلاد من أرض إلى أرض تشربها وتقتيلها.. كله يريد مدحها مغلولا! لو -ويا حسرة- على "لو" هذه! - لو يرفع المسلمون راية القرآن، فيكون مصير التفقات والإعدادات الاقتصادية الضخمة التي يمشيها، لإبادة الشعوب المسلمة المستضعفة، والتي تعد ملايين المليارات! إلى خسار حثوم. وإقرأ هذه الآية الصريحة القاطعة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُلْغَوْنَ فِي النَّارِ يُعْزِلُ اللَّهُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَتُسَبِّحُهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾ (الأنعام: ٣٨). لكن الأمر بقي بين وبينك الآن، أنا وأنت! هل أحننا الكتاب بغوة؟ تلقيا وإلقاء..! وهل حملنا معا راية التحرير، تحرير دوائنا نحن للمسلمين من هذه الوثنية الجديدة، أو هذا الدين الوضعي الجديد: العولمة! بأصنامها الثلاثة: الأول صنم الإعلام الممجد للشيطان. والثاني: صنم التعليم العلمي، الذي يربي الأحيال على التمرد على الله، وينتج ثقافة الجسد المقدسة للزائر والشهوات البهيمية. والثالث: صنم الاقتصاد الاستهلاكي للتوحش، المدمر لكل شيء. الأمر بقي بين وبينك الآن، أنا وأنت! هل أحننا العهد معا من القرآن؟ على العمل تفاهيم القرآن، ومغولات القرآن؟ أم أننا لا نزال مترددين؟ فزج تحت تأثير السحر الإعلامي والدخل لسياسي، يؤله الأصنام الوهمية التي صنعتها لنا ثقافة الآخر وبراهمه التعليمية، ويطبخ متدللين تحت أقدام إغراءات ثقافة الاستهلاك ننهم كل ما يطعمونا من بحاسات.

### مدرسة القرآن، لتحرير الإنسان

الأمر بقي بين وبينك الآن، أنا وأنت! فهذا القرآن -عهد الله- يفتح أبواب مجالسه للمؤمنين، الذاكرين، المطمئنين، أهل السيماء النبوية، الرُحَماء السُّحُود، المسالكين إلى الله عزَّ مسالك اليقين، متخرجين بالغلو والأصنام، ما بين تسدامات الصلوات ومجالس القرآن، مُرْتَلِنٌ للآيات، متداسين ومتعلمين؛ حتى بأنهم يلبسون تلك مدرسة القرآن؛ لتحرير الإنسان، وهك إشارة العنيد من أغلال الأوثان، ومفاهيم الشيطان.

ها فيه القرآن! ألم يأن لكم أن توحدوا القبله...؟ وإنما كلمة القرآن عهد أمانكم، لم يزل نورها يحرق الظلمات إلى يوم الدين: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأنعام: ١٢٨).

ثم ألقى الله -جل نأزده- العهد إلى رسوله محمد بن عبد الله ﷺ ﴿فَرَأَيْنَا عِزًّا لِلْبَلَدِ أَمْ لَقَرَىٰ وَمَنْ حَوَّلْنَا وَتَلَوْنَا يُؤْمِنُ الْخَشَعِ لَا زُنْبَ فِيهِ قَرِينٌ فِي فَحْةٍ وَقَرِينٌ فِي السَّعَةِ﴾ (الشورى: ٧). قرأنا يتدفق عمرانه الرباني على الأرض، فيملأ العالم أمانا وسلاما، يطلق متدحجا مثل الفجر، من تلاوة الذاكرين الخشع إلى صلاة العابدين الركع.. يطلق حركة قرآنية شعاعها: ﴿قُلْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْلَحُونَ﴾ (المكاتب: ٤٥). فمن ذا قدبر على سماع خطاب الله ثم يخلد إلى الأرض، ويرضى أن يكون مع الخوالب، ويقعد مع القاعدين؟.. كيف وذلك عهد الله، عهد الأمان، فمن ذا يحرق على عرق أمانه؟

ويحملها صاح.. تلك الأيدي قند إلى يد رسول الله ﷺ مستجيبة لتوثيق العهد، وهاتيك: ﴿هَذَا اللَّهُ فَسَوْفَ يُعْطِيهِمْ فَمَنْ كُنْتُ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنْ يَنْكُثْهُ أَخْرَا عَظِيمًا﴾ (النص: ١٠).. إنها مجالس الرضوان، تحت شجرة رسول الله ﷺ، تشترق أنوارها الخضراء على زمالت هذا عمر "مجالس القرآن"، مجالس الخير المفتوحة على وجدان كل من ﴿كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (النص: ٣٧).

فاستمع يا صاح!.. ذلك نداء الله يتسرل عليك! وتلك يد رسول الله قند إليك! ولكن الزمن يَنْقَلِتُ من بين يديك!.. وإلى من أنت لا تله يدك؟! ■

<sup>(١٨)</sup> جامعة نواحي إسماعيل، ورئيس المجلس العلمي بـ"مكة" / المغرب.

افومشي

<sup>(١٩)</sup> ناظر كم كان سببا لاجلولة شعنا ما رجعوا أن القرآن -وهو كلام الله- محرق!

<sup>(٢٠)</sup> الجامع لأحكام القرآن، للمطري، ١/٣٠٤.



## روح الأمّة

﴿ مع الله محول ﴾

تلى مكان مقروض مهدوم.. هذا عيد اليوم!  
لحطمت الجسور فلا عابر للسبيل..  
جفت عيون الماء، والقطع العبر، فليس لها سقاء!  
كل مكان مقروض مهدوم.. هذا عيد اليوم!

إرادة مزرعة.. وأنقش صدومة مزرعة!  
عصابة الأشقياء سلبوا التاريخ حقائقه، قبوه!  
أخلاقنا، قبما تمشي على عطب،  
قد القلب وأسا على عقب..  
فما للمقدسات من راع ولا مجر،  
إرادة مزرعة.. وأنقش صدومة مزرعة!

لنا فارسي البعث! تماما كما في حديث الرؤى..  
ثم ألقم على صهوة القرس الأبيض!  
ذات فجر، عند بدء البكور،  
إني أغمض الآن عيني فبصرك الروح،  
أيا فارسي! فانبعث وعمال  
تماما كما في حديث الرؤى..!

١٥ الترجمة عن التركية: بوزك جويال.

فارسي كان هنا.. في ذلك السفح دقيق،  
نزعوا قبضه، والكفن مرقوه،  
قالوا احذروا!.. قد ينهض من جديد..  
لأثقلوا قبره بالصخور..  
فارسي كان هنا.. في ذلك السفح دقيقه.

أيا فارسي! هلا حدثني عما جرى..  
أنت مهيم، والوطن مغموم، فاجلس ولتلك معا..  
لتكبر قلبونا بالنار..  
أيا فارسي! هلا حدثني عما جرى..

إلى بصوت منك يا فارسي! ألا تسمعي؟  
منذ سنين وأنا أتسلى بطيفك ذوما،  
أعيش على أمل أن نقبل يوما،  
إلى بصوت منك يا فارسي! ألا تسمعي؟

أرندي قبضا من الحجل، ومن وبأل السنين،  
قلبي المتوهج بالأمل، ينتظرك،  
إلى السماوات يعلو حيناً، ويمحو على الأرض حيناً،  
أرندي قبضا من الحجل، ومن وبأل السنين..

# كَلِمَاتُ رَسَائِلِ النُّورِ

للأستاذ العلامة بديع الزمان سعيد النورسي

طبعة جديدة  
منقحة.. مصححة



قرآنية الصوت، إنسانية التوجه، كونية الأفاق

مركز التوزيع فرع القاهرة : ٧ ش. الرمكة، الحي السابع، مدينة نصر - القاهرة / مصر

تليفون وفاكس : 20222631551 + هاتف الجوال : 20165523088 +

[www.daralainile.com](http://www.daralainile.com)





www.hiramagazine.com



إن السعداء الذين أروا إلى خلوات الليل الخجوبة عن العباد المكشوفة  
على رب العباد، فزادوها عمقا بكنائهم، وشفاقة ورقة بنحيبهم،  
وأصبحوا مكاناً أرواحهم ترانيم من الأنين ونغمات من الحنين، سوف  
يُمنحون سر البعث حتماً، إن اليوم أو غداً، وبينون الروح والحياة  
أينما نزلوا وحيتما ساروا.

\*\*\*